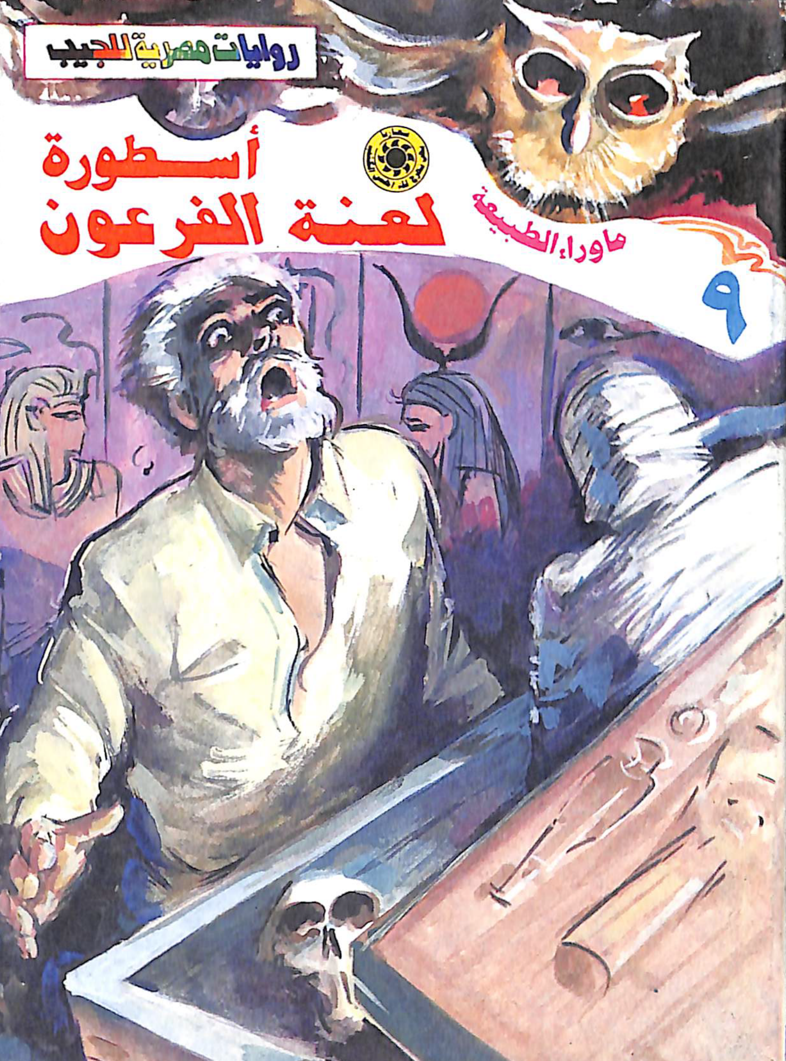


روايات مصرية للجيب
أسطورة
لعنة الفرعون
ماوراء الطبيعة
٩

روايات مصرية للجيب
٧٤٩

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

## أسطورة لعنة الفرعون

لقد أنذرتك !..
لا تفتح التابوت !.. إنه
خلفك .. في كل مكان يراقبك ..
إنه يعرف اسمك وعنوانك بل
ـ والأخطر ـ يعرف مواعيد نومك !،
لقد أنذرتك !.. لا تفتح التابوت !..
والآن لا جدوى من صراخك..
لا جدوى أبدًا!!

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : حلقة الرعب ( عدد ممتاز )

الثمن في مصر
ـــ
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

٩

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

أسطورة

لعنة الفرعون

**روايات مصرية للجيب**

●

# ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

مراجعة لغوية

**الأستاذ/ محمد شفيق عطا**

●

إشراف

**الأستاذ/ حمدى مصطفى**

●



---

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية ـ المكتبات ١٠ ـ ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

ماوراء الطبيعة

روايـــات تحـبس الأنفـــاس

من فرط الغموض والرعب والإثارة

٩

# أسطورة لعنة الفرعون

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق



# مقـدمة

أنا الدكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقًا فى جامعة ( ... ) وعدد لا بأس به من الجامعات فى الخارج ، أنا الشيخ العزَب الذى أنهى فتيل العمر ولم يبق له سوى ساعات ، أيام ، أعوام معدودة قبل أن يلحق بالأبدية ..

ولهذا ؛ قررت أن أمسك القلم وأسطّر ذكرياتى حتى لا تنتهى معى ..

ماذا تعلمتُ من كل ما مررتُ به ؟ ..

تعلمتُ أننى لم أتعلم شيئًا ! .، ولو أن عمرى غدا عشرين عامًا لفعلت نفس الأشياء واقترفتُ ذات الأخطاء وقلتُ ذات التفاهات . إن التاريخ يعيد نفسه لسبب واحد .. هو أننا فى كل مرة نتوقع أنه لن يعيد نفسه وأن الأحداث ستأخذ مجرى جديدًا ... !

أسمعكم تتساءلون : هل سيضيّع هذا الشيخ وقتنا فى فلسفته السطحية ؟ ألن يحكى لنا قصة جديدة ؟!

بلى يا رفاق .. ! .. سأحكى .. لكن هذه السطور السابقة ذات أهمية خاصة لما سأقوله لكم بعد دقائق .. وستفهمون ذلك ...

متى وقعت هذه القصة ؟ ..

وقعت فى أوائل عام ١٩٦٧ ..

كلكم سمعتم ــ وقرأتم ــ عن لعنة الفراعنة ..

لكن أحدكم لم يعرف ما عرفته أنا .. ولم يواجه كابوسًا مثل .....

لا .. ! .. لن أفسد القصة ...

لقد أنذرتكم .. لا تفتحوا التابوت ! .. ، تعالوا معى عبر الصفحات التالية ولكن بكامل إرادتكم .. أنا لم أجبركم على شىء ولم أطلب منكم مرافقتى ...

فلا جدوى من صراخكم .. لا جدوى أبدًا !!

# الجزء الأول

## الطبيب

« أن يستدعوك فى مهمة استشارية فهذا يعنى شيكًا أنيقًا به رقم لا بأس به ويحمل اسم ( أتعاب استشارى ) أو ( بدل حضور ) أو أى شىء من هذا القبيل .. ، لكنك ـ فى هذه المرة ـ تلقيت بدل الشيك قرارًا بإعدامك .. قرارًا لا يمكن استئنافه .. » .

## ١ ـ استشارة خاصة ..

يناير ١٩٦٧ ...

سن الثالثة والأربعين .. سن النضج وهضم خبرات الحياة وأنت ما زلت تملك القدرة على أن تخوض غمارها ...

كنت عائدًا لتوى من مغامرتى الكابوسية مع ( حارس الكهف ) تلك المغامرة التى دنوت فيها من الموت أكثر من أية مغامرة أخرى .. ولقد قضيت عشرات الليالى أتملّص ـ فى فراشى ـ من قبضة رمال متحركة وهمية وأنهض غارقًا فى العرق البارد لأتأمل الأرقام الفوسفورية المضيئة على قرص المنبه فى ظلام الغرفة .. وأتنهد ..!

وبعد دقائق كنت أرى ( العسّاس ) واقفًا على باب الغرفة تتوهج تضاريسه المريعة فى الضوء الخافت القادم من الصالة .. عندئذ أقرر أن أصرخ .. ثم أمنع نفسى فى اللحظة الأخيرة من هذا العمل الأخرق لأننى أعرف أن كل هذا وهم .. وهم ..

ـ «لقد حان الوقت لتتزوج يا أخ ( رفعت ) ..» .

هكذا يصارحنى الجيران ، وينصحنى الأصدقاء ، وتأمرنى المرحومة أمى ، وكلهم ـ بالطبع ـ يرون ملامح وجهى المرهقة ، والشيب الزاحف على ما تبقى من شعرى ، ونظرة الذعر التى صارت نظرتى الدائمة ..

إن الناس يتزوجون ليجدوا من يرعاهم .. أو يتزوجون لينجبوا .. أو يتزوجون لأنهم لا يجدون شيئًا أفضل يفعلونه ، أما أنا فسأكون أول من يتزوج ليهرب من رؤية الأشباح والمسوخ ومصاصى الدماء..

وهل قال لك أحد إننى كباقى الناس ؟! ..

وفى المرآه تأملت ذلك الشىء المفزع الذى تحولت إليه .. وسألت :

ــ « ومن هى الفتاة التى تقبل ؟ » ..

فيقولون لى فى حماس :

ــ « هناك ألف عروس ! .. » .

ــ « ألف عروس معتوهة ؟ » .

فيردّون وهم يتنهدون فى سأم :

ــ « إن الجميع يتزوجون يومًا ما .. ولكل أوان أذان .. وستكون هناك ــ حتمًا ــ بعض التنازلات من الطرفين ..! » .

فأصرخ فى هلع :

ـ « ولماذا يتنازل الطرفان ؟.. ما الذى يرغمنا على ذلك ؟ ! » .

ـ « للأسف أنت ما زلت طفلاً لا يقبل أن يتنازل .. طفلاً يريد كل شىء دون مقابل .. » .

ـ « هذا صحيح .. وما دمت كذلك فلماذا أتزوج ؟ » .

ـ « لأن الجميع يفعلون ذلك يومًا ما .. ! » .

* * *

وبالطبع كانت العروس ـ البائسة ـ هى ( هويدا ) .. هل تذكرها ؟ تلك الفتاة التى قابلتها عند ( عادل ) فى ( الإسكندرية ) حين كنت غارقًا فى مشاكلى مع آكل لحوم البشر .. ولم أعرها اهتمامًا فى البدء ثم بدأتُ نوعًا مقننًا ومتحفظًا وباردًا من العاطفة تجاهها .. ، وتبادلنا بعض المراسلات .. من ( الولايات المتحدة ) .. من ( اليونان ) .. من ( ليبيا ) .. إلخ ..

وحين عدتُ كانت بعد تنتظر ....

وفى حفل عائلى شبه بهيج فى دار ( عادل ) وأربع زغاريد ـ كعواء الذئاب ـ أطلقتها زوجته ( سهام ) ؛ طوّقتْ إصبعى بخاتمها وطوقتُ إصبعها بخاتمى .. وغدونا أسيرين فى زنزانة المستقبل المشترك !..

كانت خِطبة كأية خِطبة أخرى ...

ذات الجولات المملة فى الدروب .. وذات عبارات الغرام أسكبها فى مسمعها أمام البحر .. وذات أكواب عصير البرتقال فى ذات الكازينوهات .. وتظاهرى بالهيام وتظاهرها بالحياء والقلق ..

أعتقد أننا نُولد بكمية محدودة من الرومانسية والقدرة على الحبّ .. وقد استهلكت كميتى كلها مع ( ماجى ) .. وغدت كل محاولاتى مجرد عادات .. كالصاروخ الذى يستمر فى الارتفاع بالقصور الذاتى بعد أن تتوقف محركاته ...

إلا أننى ــ والله تعالى عليم ــ كنت صادق النية فى إسعادها وفى أن تكون زوجتى .. ، ولم أشعرها لحظة واحدة بما كان يعتمل فى ذهنى من تساؤلات لا نهاية لها ..

* * *

كنت ــ كما تعلمون ــ مقيمًا فى القاهرة ، لهذا غدوت معتادًا على السفر إلى ( الإسكندرية ) أيام الخميس لأزور خطيبتى فى دار أهلها بـ ( الأنفوشى ) ولربما عرجت على دار ( عادل ) معها أو دونها ــ حسب صفاء الأحوال ــ لنتبادل المجاملات أو لأشكوها له ( إذا تصادف وكنت وحدى ) ...

ولعلكم تتساءلون هنا : لماذا لم نتزوّج على الفور ؟ ..

فـى تلـك الأيـام الباسـمة كـانت الزيجـات تتـأخر ليـس لضعف الإمكانات المادية أو لعدم وجود شقة .. بل لذلك السبب المُترف . أن يتعرف الخطيبان بعضهما أكثر !...

تصوّروا هذا ..!

كانت الأيام تمضى وميعاد الزفاف يقترب ...

وكانت دورة الشموس مستمرة ....

حين وصلنى الاستدعاء الرسمى ...

* * *

ذهبت لأفتح الباب فى شقتى بالدقّ متوقعًا ـ كالعادة ـ أن من يرنّ الجرس هو شخص يلومنـى علـى شـىء مـا أو يزفّ لى مصيبة أو يريد نقودًا أو يقترض شيئًا لـن يرجعه ....

كان ذلك فى نـهار اليوم الثـامن مـن ينـاير ١٩٦٧ ..، وكنت أعدّ وجبة إفطار كريهة حين سمعت رنين الجرس المثير للهلع ..

ذهبت للبـاب وفتحتــه لأجـد وجهًـا أسـمر متصلـب الملامح لشرطى كثّ الشارب يرمقنـى فـى شك ويمسـك ورقة ما ..، سألته فى توتر :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « يريدونك .. »

قالها فى فتور كأنه يرى سؤالى سمجًا جدًا ..،
تناولت الورقة وفتحتها بيد مرتجفة شاعرًا أننى امرأة تتلقى ورقة الطلاق ، فوجدت بها نوعًا من الاستدعاء الرسمى طلبًا لرأيي العلمى فى هيئة الآثار .. ولكن لماذا ؟

ـ « لكننى طبيب .. فما هى علاقتى بـ .... ؟ » .

ـ « إن ( البوكس ) ينتظرك يا دكتور .. » .

وهكذا .. لم أر بدًا من أن أطفئ الموقد وأرتدى ثيابى وألحق بالزائر غير الثرثار إلى ( البوكس ) كئيب المنظر الواقف أمام بوابة العمارة التى أقطنها ، ونظرة تشفٍّ لا بأس بها التمعت فى عينى البواب وبعض الجيران حين رأونى أسير مصفرَّ الوجه كالكركم جوار الشرطى .. كأنهم كانوا واثقين أن هذا سيحدث لا محالة جزاءً وفاقًا لجرائمى وسيْرى المعوجّ ..!

لقد فضحنى هذا المخبول فى الحىّ بأكمله ...

ومضت السيارة تنهب شوارع القاهرة متجهة نحو هيئة الآثار .. ودخلت إلى قاعة كبيرة بها مكتب عملاق تعلوه بعض التماثيل الفرعونية الصغيرة .. وكان هناك حشد لا بأس به من السادة الذين تبدو على وجوههم سيماء الخطورة .. والعسكريين الذين يرمقوننى بشك

لا مبرر له أبدًا .. والعلماء ذوى الشنابر الغليظة ... وكلهم صامتون ..

ــ « دكتور ( رفعت إسماعيل ) ؟ » .

قالها رجل متأنق أشيب الشعر يرفع نظارته فوق مقدمة رأسه .. وصافحنى فى شىء من المودة .. مضيفًا :

ــ « أنا الدكتور ( رمزى حبيب ) .. خبير المصريات .. بالطبع مازلت فى حيرة من استدعائنا لك على هذا النحو .. » .

هززت رأسى فى تواضع قائلاً :

ــ « إننى شخص حساس يا د. ( رمزى ) .. حساس جدًا .. وليس رجال الشرطة الذين يأتون صباحًا من الأشياء المحببة للأشخاص الحساسين .. » .

انفجر يضحك ــ أكثر مما تحتمله دعابتى فى الواقع ــ ومعه ضحك كل السادة المحيطين بنا فى مجاملة واضحة لى ...

بدأ الفأر يلعب فى عبّى .. إن هناك جوًا من التوتر يخيم على المكان .. ذلك التوتر الذى ينفث عن نفسه بأية طريقة .. صرخة .. هزّة قدم .. ضحكة فى غير موضعها .. ، أنا لست أحمق ..

ــ « الواقع يا د. (رفعت) أننا .. هيه !.. لم لا تجلس ؟..

ماذا تفضل أن تشرب ؟.. » .

ــ « سجائر !.. » .

مدّ أحدهم يده لجيبه وهو يضحك فى افتعال .. وأخرج علبة تبغ معدنية ناولنى لفافة منها ، وقبل أن أفهم ما هنالك امتدت ستّ شعلات من ستّ قداحات تحملها ستّ أيدى متحمسة نحو لفافة تبغى ..

ــ « الواقع أننا .. سمعنا الكثير عن .. أ .. لنقل جولاتك الموفقة فى دنيا ما وراء الطبيعة .. والقضية التى نحن بصددها تحتاج لخبير فى هذه الأمور .. إننا نتحرك فى الظلام .. هل تفهمنى ؟ » .

ــ « لا ... ! » .

قلتها كسدادة فلين موجهة إلى حلقه .. فابتسم فى حرج .. وأضاف :

ــ « سأكون أكثر وضوحًا .. أنت أستاذ فى أمراض الدم .. هذه نقطة .. وخبير فى أسرار ( الميتافيزيقا ) (*) وهذه نقطة أخرى .. ، أى أنك الرجل الذى نحتاج إليه تمامًا ..» .

هززت عُقب السيجارة فى حيرة فأسرع أحدهم يضع مطفأة تبغ فى متناول يدى .. إن هذه المعاملة الحسنة

---

(*) الميتافيزيقا : ما وراء الطبيعة .

تثير ريبتى أنا الذى أتوقع أسوأ الأمور دائمًا .. إن هؤلاء السادة يحملون لى كارثة ما ، وإذا أضفنا لذلك ما يقول هذا ( الأخ ) عن ( الميتافيزيقا ) فإن استنتاج ما يدور ليس صعبًا .. إننى مقبل على مصيبة أخرى من المصائب التى تنتظرنى فى كل مكان وكل زمان ..

قال د. ( رمزى ) فى شرود وهو يرمق أظفار يده :

ــ « ثمة شىء معين .. نوع من الآثار .. نريد منك أن تراه وتعطى رأيًا كاملاً .. تقريرًا علميًا مفصلاً يفسّر بعض الظواهر الغامضة التى صاحبت هذا الكشف .. » .

ــ « وهذا الشىء .. هذا الأثر .. هل هو مومياء ؟ » .

رفع عينيه الرماديتين نحوى فى شىء من التبجيل .. وهزّ رأسه أن نعم ..

ــ « وهل فحصها علماء آخرون قبلى ..؟ » .

ــ « فى الواقع .. » .

ــ « أجب دون تزويق أرجوك .. » .

تنهد فى استسلام .. وقال بصوت كالفحيح :

ــ « خمسة علماء .. » .

ــ « وكلهم ماتوا فى ظروف غير مفهومة ..؟ » .

ــ « كلهم ... » .

وتبادل مع الرجال الواقفين نظرة حيرى ثم سألنى :

ـ « كيف عرفت ؟ »

ـ « القصة دائمًا هكذا ... »

ثم إننى وأدت عقب السيجارة .. وأردفت :

ـ « ولهذا استدعيتمونى ؟ .. » .

ـ « بالفعل ... » .

ـ « لأكون سادس الضحايا ..؟ » .

هزّ رأسه مرتبكًا .. وفرك يديه ودمدم :

ـ « بل لتقول لنا حقيقة ما يحدث .. » .

وأشار إلى واحد من الواقفين .. رجل نحيل أسمر يرتدى نظارة صغيرة ذات إطار أسود سميك .. وقال :

ـ « الأستاذ ( محمد رجب ) سيعطى لك خلفية أفضل عن الموضوع .. » .

صافحنى الرجل بيد باردة .. وجفف قطرات العرق النامية على جبينه وقال :

ـ « سعيد بمعرفتك يا د. ( رفعت ) .. » .

ثم جلس على مقعد وثير أمامى .. وأخرج ( أجندة ) صغيرة من جيبه بها ــ كما هو واضح ــ بعض النقاط التى تساعده على ترتيب ذهنه ..

ــ « إن الأمر يتعلق بملك فرعونى من الأسرة السادسة .. ملك لا نعرف عنه إلا أقل القليل أولا شىء على

الإطلاق ، والمصادفة وحدها هى التى قادتنا إلى مقبرته..»
ثم بلّل شفته السفلى بطرف لسانه .. وأردف :
« لا أدرى ما إذا كانت لديك فكرة عن الموضوع يا د. ( رفعت ) لكن هناك قرارًا عالى المستوى أن يظل ما أقوله لك سرًا .. » .
ـ « ولمه ؟ »
ـ « حتى هذا هو سرّ أيضًا .. كل ما أطلبه منك أن تعدنى .. » .
ـ « أعدك ما دام الأمر يتعلق بصالح البلاد .. » .
ولهذا ـ يا عزيزى القارئ ـ أرجو إعفائى من ذكر التفاصيل حيث إننى لم ألق هؤلاء السادة منذ ذلك العام .. ولم يُعفنى أحد من قسمى ، سأقص عليكم قصتى محتفظًا لنفسى بالقدر الأكبر من التفاصيل .. وحتى اسم الفرعون نفسه لن أذكره .. بل سنطلق عليه اسمًا رمزيًا هو ( أخيروم الأول ) وهو ـ بالمناسبة ـ قريب جدًا من الاسم الأصلى ..
ـ « كانت هذه المقبرة تختلف كثيرًا عن أية مقبرة وجدناها من قبل .. » ، قال الأستاذ ( محمد ) فى عصبية ..
« ومن المتوقع أن يبدل ما وجدناه فيها كثيرًا جدًا من قناعاتنا السابقة عن ا لتاريخ الفرعونى ، حتى أسلوب التحنيط نفسه لم يبدُ مألوفًا لنا .. » .

قلت فى توتروقد بدأت القصة تثير شغفى :

ـ « وهل دخل اللصوص هذه المقبرة ؟ » .

تبادل نظرة حيرى مع الدكتور ( رمزى ) معناها : هل أصارحه ؟..

ثم تنهد وأجاب عن سؤالى :

ـ « قليلون جدًا .. وكلهم لم يمسوا شيئًا ... » .

ـ « وما السبب ؟ » .

ابتلع ريقه وأغلق ( الأجندة ) قائلاً :

ـ « لقد كان صاحب المقبرة غير طبيعى .. ومن العدل ألا نزعم أية قوى غيرعادية له ، لكن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها .. الحقيقة التى تستعصى على الفهم هى أن لصوص المقابر فرّوا من المقبرة بمجرد دخولها .. آثار أقدامهم على الغبار ـ وهو لم يُمسّ منذ قرون ـ أكدت لنا ذلك ... » .

ونظر لى فى صرامة :

ـ « .. ما الذى رآه هؤلاء اللصوص ؟.. إن من يتسلل إلى مقبرة لسرقتها ليلاً لا يخاف لدى رؤيته فأرًا أو ثعبانًا بالتأكيد ... » .

قال د. ( رمزى ) مقاطعًا :

ـ « حدثه كذلك عن الجثة .. » .

— « آه .. كنت أقول إن اللصوص .. » .
سألته فى فضول :
— « أية جثة ؟ .. » .
حاول تحاشى الإجابة بالعودة للحديث عن المقبرة ذاتها إلا أننى كنت مصراً على الفهم مما دعاه إلى أن يجفف عرقه ويقول وهو يوجه نظرة عتاب إلى د. ( رمزى ) :
— « إنها جثة واحد من اللصوص .. جثة إنسان تعثّر وهو يحاول الهرب مع رفاقه .. والغريب أن على وجهه أعتى علامات الهلع .. والأغرب أنه لم يتحلل برغم مرور عشرات القرون على وفاته .. أما الشىء المذهل .. » .
وساد الصمت الغرفة :
« فهو أننا لم نجد قطرة دماء متخثّرة واحدة فى عروقه .. » .





إنها جثة واحد من اللصوص .. جثة إنسان تعثّر وهو يحاول الهرب
مع رفاقه ..

## ٢ ــــ عن لعنة الفراعنة ..

« اخرج يا من تأتى فى الظلام وتدخل خلسة . هل أتيت لتقبل هذا الطفل ؟ لن أسمح لك بتقبيله . هل أتيت لتأخذه ؟ . لن أسمح لك بأخذه منى . لقد حصنته منك بعشب ( أفيث ) الذى يؤلمك ، وبالبصل الذى يؤذيك ، وبالشهد الذى هو حلو المذاق فى فم الأحياء ومرّ فى فم الأموات » .

تعويذة فرعونية لحماية الطفل
تُنسب إلى ( إيزيس )

* * *

« .. إذن وجدتم ــ لحسن الحظ ــــ مقبرة مصاص دماء فرعونى ! » قلتها وأنا أرشف فنجان القهوة الذى قدموه لى ، جالسًا على مائدة الاجتماعات الكبيرة ، متجاهلاً حقيقة أن كل العيون ترمقنى فى فضول ..

قال د. ( رمزى ) وهو يبتسم تلك الابتسامة المفتعلة :

ــ « لم نزعم هذا لحظة يا د. ( رفعت ) .. إن وجود جثة غير مُتعفّنة خالية من الدماء لا يعنى بالبديهة وجود مصاص دماء .. فقط يعنى وجود شىء غامض ... » .

ثم إنه مدّ يده إلى ملف كبير .. وشرع يخرج منه بعض الصور ويضعها أمامى ، صور لمقبرة فرعونية ما ، ولتابوت جميل الشكل ـ ولبعض الرجال الذين ينظرون للكاميرا باسمين ، ولجثة لص يبدو عليه الهلع .. ثم أخرج خمس صور صغيرة فعرفت على الفور كنهها ..

« هذه هى صور العلماء الذين اجتمعوا ــ منذ أيام معدودة ــ على فتح التابوت ، وكلهم من خيرة علماء المصريات فى ( مصر ) والعالم كله .. وكلهم هلكوا فى ظروف غامضة .. » .

ــ « .. وعلى وجوههم نفس التعبير الغامض ..؟ » .

ــ « وعروقهم خاوية من الدم بنفس الأسلوب . » .

ــ « ولهذا أبقيتم الأمر سرًا ..؟ » .

ــ « إن إحداث ذعر عام لن يفيد أحدًا .. » .

ثم إنه إلتفت إلى أحد الضباط الجالسين معنا .. لم يكن يرتدى ثيابًا عسكرية ، لكن نظرته الحادة وكتفيه

العريضتين وكل شىء فيه قال إنه رجل أمن عتيد .. إن ملامحهم لا تتغير أبدًا ...

— « الآن يحدثنا اللواء ( مراد ) عن الناحية الأمنية لما حدث .. » .

هرش اللواء المذكور عنقه باحثًا عن الكلمات المناسبة .. ثم ابتسم وقال بصوت رصين :

— « إن القصة كلها هى احتشاد فريد لعلامات الاستفهام .. فكل هؤلاء السادة اشتركوا فى فحص المومياء حتى أن واحدًا منهم هو الذى التقط هذه الصور التى رأيتها الآن .. ، ثم بعد ذلك يعودون لديارهم .. فماذا يحدث ؟ .. فى حالتين كان العالم راهب علم يعيش وحيدًا وفى الصباح تصل مدبرة المنزل أو شقيقة أحدهما لتجد المشهد الذى نتوقعه جميعًا ، وفى الحالات الثلاث الأخرى كان العالم يدخل دورة المياه أو يبقى فى الدار وحيدًا أو يصحو فى الليل ليخرج للشرفة .. ثم تأتى الزوجة لتجد نفس المشهد .. ، لا داعى طبعًا للقول إننا لم نجد آثار أقدام ولا بصمات ولا شهودًا على لأى شىء .. لا آثار صراع ولا آثار سرقة .. » .

— « والطب الشرعى ؟ .. » .

ـ « لا شـيء سوى ما قلناه .. لا آثار دماء فى العروق ، لكن لا ثقوب فى العنق إذا كان هذا ما يدور فى ذهنك ... » .

ـ « وهل كان العلماء يعانون أمراضًا ما ؟ » .

ابتسم فى إنهاك .. وقال :

ـ « بالطبع لابد من بعض السكر البولى وارتفاع ضغط الدم .. إلخ ، وكلها أمراض عادية تلاحقنا جميعًا .. ، لكننا كنا نجد دائمًا سيدة مذهولة دامعة العينين تردد دون هوادة أن الفقيد كان فى أحسن حال ولم يشك قط ... » .

ـ « إذن لم يصب واحد بالحمى الشهيرة المصاحبة للعنة الفراعنة ؟.. » .

ـ « لست خبيرًا بالنواحى الطبية لكننى أجزم بأن الإجابة هى النفى ... » .

ارتفع صوت د. ( رمزى ) ضاحكًا :

ـ « إذن هأنتذا يا د. ( رفعت ) تتحدث أخيرًا عن لعنة الفراعنة .. » .

تساءلت فى حيرة وأنا أشعل لفافة تبغ :

ـ « هل توجد طريقة أخرى للتفكير ؟ » .

ـ « هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة هذه ؟ » .

نظرت له .. وشرد ذهنى عبر الزمان والمكان ...

* * *

هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة ؟ ..

بالطبع .. أعرف ...

ومن فينا لا يعرف ... ؟ ..

على أننى فى الأيام السوداء التى تلت لقائى بأسطورة ( دراكيولا ) عام ١٩٥٩ كنت أختبئ فى شقتى بالدقى فى غرفة نومى التى رُصّع بابها بحزم الثوم ، وكنت أتسلى بقراءة كل ما كتب عن لعنة الفراعنة .. !

يا له من مزاج ويا لها من هواية .. !

ومع أكواب الشاى الأسود ولفافات التبغ بدأت أدرك أن لهذه الأسطورة الشنيعة ـــ أسطورة لعنة الفراعنة ـــ أصلاً لابد أن يثير الجدل ..

كيف بدأت هذه الأسطورة ؟ ..

لقد هلك علماء آثار كثيرون لكن القصة لم تجد طريقها إلى الرأى العام إلا مع اكتشاف مقبرة ( توت عنخ آمون ) على يدى ( كارتر ) ولورد ( كارنافون ) عام ١٩٢٢ ... وبعد كفاح ستة أعوام كاملة ..

« سيذبح الموت بجناحيه كل من يجرؤ على إزعاج مرقد الفرعون ... » .

« أنا حامى مقبرة الفرعون الذى يصدّ اللصوص مستعينًا بلهيب الصحراء » .

هكذا أنذرتهما المقبرة بشكل لا يمكن إساءة فهمه ..

لكنهما كانا مُصرَين ...

مصرَّين إلى حد تجاهل كل هذه اللعنات ..

مصرين إلى حد إخفاء هذه السطور بعيدًا عن عمال الحفر حتى لا يصابوا بالذعر ..

كانت المشكلة مع ( توت عنخ آمون ) هى أنه مات صغيرًا جدًا .. أصغر سنًا من أن يحسن حماية مقبرته بنفسه ، ومن ثم تولى الكهنة هذه المهمة مستعملين أفضل ما لديهم من ( تقنيات ) سحرية وأرقى ما وصلته ( تكنولوجيا ) حماية المقابر فى ذلك العصر الغابر ...

هل تعرف شيئًا عن لعنة الفراعنة ؟ ..

بالطبع أعرف ..

أعرف أن ثلاثة عشر شخصًا ممن فتحوا المقبرة فى احتفال رسمى قد هلكوا .. وكان أولهم هو اللورد ( كارنافون ) نفسه الذى بدأ يشعر بارتفاع مريب فى درجة الحرارة مع رجفة قوية وظل الأطباء حائرين .. هل هى الملاريا ؟ أم تسمم دموى ؟ .. أم هو ... ؟

وفى منتصف الليل توفى اللورد فى القاهرة .. والغريب أن التيار الكهربى قد قُطع فى جميع أنحاء القاهرة دون تفسير واضح فى ذات لحظة الوفاة ... وبعد ذلك بدأ منجل الموت يحصد رءوس من دنسوا المقبرة دون أن يترك تفسيرًا واضحًا لوفاتهم ...

دائمًا تكون هناك تلك الحمى التى تحير الأطباء ثم الموت الذى يلى زيارة المقبرة مباشرة مما لا يدع مجالاً واسعًا لقوانين الصدفة ...

وها هو ذا سكرتير ( كارتر ) الشاب يموت دون تفسير واضح .. من ثم ينتحر أبوه حزنًا عليه .. وفى أثناء تشييع جنازته يدوس الحصان الذى يجرّ عربة التابوت طفلاً صغيرًا فيقتله ... !!

هل تعرف لعنة الفراعنة ؟ ..

حتمًا أعرفها ...

حتى ولو لم أكن وقتها أعرف ما سيحدث بعد سنوات أربع للعالم الإنجليزى ( والترإيمرى ) الذى سيجد تمثالاً لأوزيريس فى أثناء بحثه فى ( سقارة ) عن مقبرة المهندس الفرعونى العبقرى ( إمنحتب ) .. وفى نفس الليلة يموت دون تفسير واضح أمام عينى مساعده المصرى .. ، لكنى ـ بالتأكيد ـ أعرف ما

أصاب عالم المصريات ( شامبليون ) الذى فكّ رموز اللغة الهيروغليفية وتوفى فى عمر الزهور دون تفسير بمجرد عودته من مصر ...

وأعرف أن الطبيب العظيم ( تيودور بلهارس ) مكتشف دودة البلهارسيا ، قد توفى بحمى عجيبة بعد يومين من زيارته للأقصر مع زوجة الدوق ( إرنست الأول ) .. ، وأعرف عشرات القصص المشابهه وكلها لشخصيات تلقى حتفها من جراء حمى مفاجئة مع هذيان ورجفة .. على حين يردد كهنة ( آمون ) فى خبث :

ـ « أفق من إغمائك فإنك ستهزم الجميع .. لقد انتصر ( بتاح ) على خصومك فلا وجود لهم ... » .

ثم هلك الدكتور ( دوجلاس ديرى ) والكيميائى ( ألفيريد لوكاس ) بعد قيامهما بتشريح جثة الفرعون الذى توفى منذ ٣٣٠٠ سنة ..

هل تعرف لعنة الفراعنة ..؟

بالتأكيد أعرفها ...

* * *

ابتلعت ريقى ونظرت للدكتور ( رمزى ) هنيهة .. ثم غمغمت :

ــ « .. سمعت الكثير عنها .. » .
فرك يديه فى مرح وهتف :
ــ « إننا بصدد نمط جديد منها .. فيا له من مجد ! ».
ــ « وماذا تريدون منى ؟ » .
ــ « يا له من سؤال ! » وانفجر ضاحكاً حتى دمعت عيناه وأنزل النظارة من على مقدمة رأسه ليتمكن من القراءة بشكل أفضل ، وقال وهو يتأمل الملف المفتوح أمامه :
ــ « نريد منك أن تنفى أو تثبت وجود مرض معد فى هذه المومياء .. مرض يجفّف الدماء فى العروق ويحدث حالة ذعر وقتية .. » .
نظر لى الأستاذ ( محمد رجب ) فى فضول وتساءل :
ــ « هل يوجد فى تاريخ الطب مرض مماثل ؟ .. » .
نظرت له ولم أرد .. عاودنى الشرود من جديد ...

* * *

منذ خمس سنوات كنت هناك ...
فى المؤتمر الذى عقده الدكتور ( عز الدين طه ) الأستاذ بجامعة القاهرة ، ولم يكن يعرفنى ، لكننى كنت بين الجالسين أرهف السمع لنتائج بحث طويل مرهق قام به ذلك العالم الجليل بحثًا عن سرّ لعنة

الفراعنة ..، وكان يؤكد أن فطر الـ ( أسبرجيللاس نجرا ) الذى يعيش ويتكاثر بحرية تامة فى المقابر الفرعونية ويصيب كل من يتعاملون فى البرديات .. هذا الفطر كان هو السبب فى رأيه وراء عدد لا بأس به من وفيات علماء الآثار ..

كنت هناك ..، وقد راقت لى دقته العلمية وهنأته بعد المؤتمر ووعدته بزيارات عدة لنناقش الموضوع أكثر. ولم أكن أعرف أنها المرة الأخيرة .

لقد توفى إلى رحمة الله فى حادث سيارة مروع بعد المؤتمر بوقت قصير ..

ويظل السؤال بلا جواب ..

تحدث العلماء عن الفطريات وعن السموم التى ـ لربما ـ نثرها الفراعنة فى مقابرهم ، وعن الباكتريا التى تنشط فوق جلد المومياوات المتحلل .. وعن الإشعاعات النووية الناجمة عن طبقة يورانيوم استخدمها الكهنة لدهان المقابر .. وعن الأشعة الكونية التى نشطوها لحماية مقابرهم ...

لكن الباب ظل مغلقًا يثير الرعب فى القلوب لأنه ما من إنسان جرؤ على تهشيمه وما من إنسان وجد مفتاحه .. ولأنه ...

* * *

« ما من مرض مماثل على قدر علمى .. » .
قال لى د. ( رمزى ) فى شىء من الجفاء ..
ــ « لكنك ستبحث عنه طبعًا .. » .
ــ « هذا هو العلم .. لا تعليمات مسبقة ولا تحيّزات ، التجريب هو المقياسٍ الوحيد .. لقد كان العلماء فى الماضى يجدون حلاً لكل مشاكل الكون فى ثوان .. وإن آراء ( جالينوس ) و ( أرسطو ) لكافية للإجابة على كل سؤال تقريبًا برغم أنها خطأ كلها أو أكثرها ..، أما وقد بدأ عصر نهضة العقل وطرق التفكير العلمى المحكمة ، فإن ما نعرفه أقل بكثير لكنه دقيق وصائب .. » .
قال د. ( رمزى ) مجاملاً :
ــ « إن العلم الحديث هو الحقيقة المخيبة للآمال .. فى حين كان العلم القديم هو الخيال الممتع .. ، إنه لشىء محزن أن يعرف المرء أن النحاس لا يتحول لذهب لكنها الحقيقة المُحبطة .. » .
ــ « لكن العلم الحديث يعدك بأن تفعل ذلك يومًا إذا كان عندك مدفع ذرى متقدم .. » .
شرد ذهنه مدة ثانية .. ثم عاد يفرك يديه :
ــ « فلنعد لموضوعنا .. » .

ونظر للجالسين ليرى ردّ فعلهم إزاء ما يطلبه منى :

ـ « هل ستفحص المومياء .. ؟ .. » .

بماذا أجيبه ؟ ..

إن هؤلاء السادة ينتظرون ردّى فلا تبخلوا علىّ برأيكم .. هل أفحصها ؟ .. حسن !

كنت سأقترح عليكم شيئًا كهذا .. إننى لا أتمتع بأية شجاعة .. كل ما هنالك هو أننى فضولى .. فضولى أكثر من اللازم ...

يقول الإنجليز إن الفضول قد قتل القط .. ولم أكن أعرف مدى صدق هذه المقولة حتى هذه اللحظة .. ولم أتصور أبدًا أننى قط عجوز ...

كنت ـ كما أقول لكم فى كل قصة ـ ساذجًا .. ساذجًا إلى حدٍّ لا يصدق .

* * *

## ٣ ــ الباب المغلق ..

لماذا قبلت ؟

لأن هناك شيئًا اسمه الفضول .. ، وشيئًا اسمه الحرج من الظهور بمظهر الجبناء ، وشيئًا اسمه المسئولية العلمية ، وشيئًا اسمه : عمل الشيء لأنك لن تثق أبدًا فيمن يفعله غيرك ، ولن ترتاح لاستنتاجاته ..

أنا أعرف نفسى .. وعلى خلاف الآخرين لن أموت بهذه البساطة ، وإذا أنا هلكت لكان ذلك دليلاً لا يُدحض على وجود لعنة الفراعنة .. ذلك الدليل الذى لن أثق فيه كثيرًا إذا ما كان المتوفى واحدًا آخر.. !

أنتم تفهموننى .. أليس كذلك ؟

* * *

صبيحة اليوم الحادى والعشرين من يناير ...

أقف فى ذلك المخزن الذى أعدوه لى جوار الأحمق الوحيد الذى قبل أن يساعدنى فى هذه المهمة .. الأستاذ ( محمد رجب ) ، بالطبع كان هناك عدد لا بأس به من الأشخاص المهمين ينتظرون بالخارج ، وكان هناك

مصور شاب اسمه ( نادر ) يحمل كاميرا تصوير سينمائى صغيرة ، ويقف على بعد أمتار من موضعنا ليصور ( الجراحة ) كاملة ..

أضأت الكشاف القوى الذى أعدوه لنا .. ثم بدأت الإجراءات الاحتياطية التى أعددت لها فى صبر ..

قمت بالدوران حول التابوت بعداد ( جايجر ) للتأكد من عدم وجود إشعاعات نووية ( وهو احتمال وارد ) ..

ثم قمت بتشغيل جهاز شفط الغبار حتى لا يتسرب شىء ما إلى رئتى فى أثناء الفحص ..

بعد ذلك ارتديت قفازين ووضعت قناعًا لا كأقنعة الجراحين ولكن من الأقنعة المضادة للغازات ، وبهذا لم يبق سوى شىء واحد لم أضع له حسابًا بعد .. السحر الأسود .. سحر الكهنة ...

وحتى فى هذا الصدد تلوت بعض آيات قرآنية ..

وبمجرد أن فرغت شعرت بالثقة تفعم روحى ..

* * *

فى تؤدة أزحنا غطاء التابوت ..

كان من سبقونا قد قاموا بانتزاع الزخارف المذهبة الخارجية ، لهذا كان من السهل أن نرى مومياء الملك لا تسترها سوى لفائف حريرية وقناع ذهبى شبيه بقناع



بعد ذلك ارتديت قفازين ووضعت قناعًا لا كأقنعة الجراحين ولكن من الأقنعة المضادة للغازات ..

( توت عنخ آمون ) فيما عدا أن ملامحه كانت تفتقر للبراءة والسلام اللذين تعكسهما ملامح هذا الأخير ..

وببطء شديد تناولت المبضع وقمت بعمل شق صغير فى طبقات الكفن ، ثم شرعنا نزيح طبقاته المتآكلة جانبًا ..

كانت مهمة بطيئة وقذرة ، لكننا قمنا بها عاثرين ــ كالعادة ــ على عشرات الحلى والمجوهرات بين طيات القماش ، مع عشرات التعاويذ لإله الشرّ عند الفراعنة ..، أما ما أثار انتباهى فهو نوع من البلّورات العجيبة متناثرة بلا نظام بين طيات النسيج .. بلّورات دقيقة جدًا كرقائق الثلج .. وأنا لا أفهم شيئًا فى الأحجار الكريمة لكنى أعتقد أن هذه البلّورات لا تمت لها بصلة ..

رفعت عينًا متسائلة نحو شريكى فهزّ رأسه بما يعنى أنه لا يفهم ما هى بالضبط .. ، ومدّ إصبعين ليمسك واحدة منها متأملاً ..

التقطت بعض هذه البلّورات بالجفت الجراحى ووضعتها فى وريقة صغيرة جدًا لأحللها فيما بعد ، أما الآن فالجزء الأكثر تعقيدًا ينتظرنا ألا وهو انتزاع اللفائف عن جذع المومياء ..

وجه ( محمد رجب ) يزداد اصفرارًا .. يالك من أحمق ! ..

كان الجلد هشًا رمادى اللون .. وقد قمت بأخذ عينة منه قمت بترقيمها .. ثم عدة عينات من الأوعية الدموية المتخثرة تحته ، وقمت بعمل عدة مسحات باكتريولوجية على أنابيب اختبار معقمة بحثًا عن تلوث باكتيرى ..

— « لا توجد أحشاء ! » .

قلتها فى حيرة .. فقال وهو يغالب الغثيان والعرق يحتشد على جبينه :

— « كان الفراعنة ينتزعون الأحشاء لأنها سريعة الفساد و.. ويضعونها فى ما .. يُسمى ... الـ .. الأوعية الكانوبية .. ، والقلب كانوا ينت .. ينتزعونه ويض .. يضعون مكانه جعرانًا مقـ .. مقدسًا .. هاه ! » .

ثم استدرك فى حيرة :

— « الغريب هنا أن هذه المومياء من .. من الأسرة السادسة ، وعادة انتزا .. انتزاع الأحشاء .. اء .. تعود .. هاه .. للأسرة الـ .. ثانية عشرة .. » .

— « إذن كان المرحوم سابقًا لعصره .. » .

وهنا سمعت صوت السقوط ...

فعلها الأحمق ! .. لن أفهم أبدًا كيف يسمح إنسان ناضج لنفسه بأن يفقد الوعى ؟! .. خاصة فى لحظات هامة كهذه ...

انفتح الباب واندفع د. ( رمزى ) ومعه اثنان آخران ، وقد بدا عليهما الذعر وإن لم يجرءوا على الاقتراب أكثر .. ، وكذا فعل المصور .. ، وسألونى بصوت واحد :

ــ « هل مات ؟! » ..

قلت فى لا مبالاة وأنا أضع عيّناتى فى حقيبتى :

ــ « بالطبع لا .. كل ما فى الأمر أن عصبه ( الحائر ) يعمل بكفاءة غير عادية .. » .

ــ « هل نطلب الإسعاف إذن ؟ » .

ــ « لا داعى لذلك .. سيفيق حالاً ، وإذا لم يفق فإن حقنة ( أتروبين ) واحدة ستؤدى الغرض .. » .

ثم إننى بدأت أعيد تغطية المومياء وأعدت التعاويذ والمجوهرات إلى مكانها . ودعوت المصور الشاب كى يساعدنى فى تغطية التابوت .. ، ولما كنت قد أغلقت حقيبتى دسست الوريقة الصغيرة فى علبة سجائرى المصنوعة من الورق المقوى ، وانتزعت القفازين فألقيت بهما فى دلو من ( الفورمالين ) مع أدواتى الجراحية ، ثم نهضت نحو ذلك الأبله المغشى عليه وبدأت ألطم خدّيه وأقرصهما مرارًا حتى فتح عينيه ..

وخرجت إلى مكتب د. ( رمزى ) حاملاً الحقيبة .. أشعلت لفافة تبغ .. ثم طلبت فنجان قهوة بلا سكر ،

وبدأت أحكى لـه ما وجدناه .. وقد أبدى اهتمامًا غير عادى بموضوع عدم وجود أحشاء فى مومياء من الأسرة السادسة ( هؤلاء القوم يهتمون بتفاهات لا تنتهى ) ..

— « إن كل ما يحيط بهذا الفرعون غريب وغير مُعتاد .. » .

— « وماذا عن التعاويذ الكثيرة التى وجدناها .. ؟ » .

— « كالعادة .. كلها تتحدث عن خراب بيت من يجرؤ على إقلاق راحة الفرعون .. ، الغريب هنا أنها جميعًا تحمل صور ( ست ) إله الشر عند الفراعنة ، مع أنه من المعتاد أن تجد الكثير من صور ( أوزيريس ) .. » .

وهنا دخل ( محمد ) الغرفة مترنحًا وقد بدا عليه الإعياء الشديد ، جلس على مقعد فى الركن يشرب المشروب الغازى الذى أحضروه له ..

— « أنت مرهف الحسّ يا صديقى .. » .

— « وأنت معدومُه .. ! » .

— « شكرًا ... » .

قال د. ( رمزى ) وهو يدير قرص الهاتف :

— « متى نتلقى ردّك ؟ » .

— « ليس قبل أسبوعين .. سأقوم بتحليل دمه ،

وأنسجته .. ثم أضع مزارعى فى ظروف هوائية ولا هوائية .. ولابد من انتظار نمو الباكتريا ، ثم إن هناك أبحاثًا معقدة لمحاولة إنماء جراثيم الفطريات .. » .

قال وهو يضع السماعة على أذنه منتظرًا ردّ الطرف الآخر :

ــ « كما قلنا لك .. السرّية مطلقة .. سنضع معامل وزارة الصحة تحت تصرفك حتى لا يكون هناك مجال للأسئلة الفضولية فى الجامعة .. و .. آلو ! .. دكتور ( شاكر ) ؟ .. كيف حالك ؟ .. ستصلك العينات بعد ساعة .. شكرًا .. » .

ووضع السماعة .. ونظر لى :

ــ « لم نعرف بعد رأيك المجرد فى الأمر .. » .

ــ « ليس لى رأى .. وحتى هذه اللحظة لا يعرف العلم مرضًا يسبب ما حدث لعلمائكم وذلك اللص .. » .

ــ « ربما هو مرض جديد ؟ » .

ــ « ربما .. وبذلك يكون لنا شرف نشر هذا المرض بعد أن ظل خافيًا كل هذه القرون .. » .

إبتسم د. ( رمزى ) فى غموض .. وقال ضاغطًا على كل حرف من كلامه :

ــ « منذ اللحظة أنت المرشح رقم واحد لتكون

الضحية التالية لهذه المومياء يا د. ( رفعت ) ولو سارت الأمور كما أتوقع فلن نجدك في عالمنا هذا بعد أسبوعين .. هل يثير هذا رعبك ؟ » !

ـ « إن هي إلا ميتة واحدة محددة التاريخ والأسلوب.. فإذا لم تحن ساعتي فلن تستطيع مومياوات الأسر كلها أن تؤذيني حتى ولو كانت أحشاؤها موجودة .. » .

ضاقت عيناه أكثر .. وهمس :

ـ « أنت مصيب لكنك تنسى ما هو أشد قسوة من الموت .. الرعب ! .. الرعب غير المبرر الذي يحيل حياتك جحيمًا ويجعلك تتمنى الموت ولا تناله .. » .

وصارت عيناه عيني ثعلب وهو يردّد :

ـ « .. الرعب يا صديقي .. الرعب ! » .

* * *

مثلما يحدث في الأفلام السينمائية ظل صدى عبارته يتردد في دهاليز عقلي فيما أنا أقود سيارتي متجهًا إلى الإسكندرية ..

الرعب يا صديقي الرعب ! ...

كان اليوم هو الخميس .. موعد زيارتي الأسبوعية لـ ( هويدا ) خطيبتي التّعسة ، وكانت أضواء السيارات تتسابق في مرآتي.. والأزرق الحزين يزحف ببطء منذرًا

بحلول ليل الشتاء المبكر .. ، والهواء الرطب المكهرب يبشر بهطول أمطار رعدية .. و( أم كلثوم ) تغنى فى المذياع ..

الرعب يا صديقى .. الرعب ! ..

ـ « أيها الحمار ! » .

دوت الصيحة من سائق عربة كدت أصدمها وأنا أنحرف لليمين .. كنت شارد الذهن تمامًا إلا أن صيحته أعادتنى لعالم الواقع .. ولم يكن هناك حمار آخر سواى بالطبع ؛ لذا تمالكت أعصابى وقبضت بحزم أكبر على عجلة القيادة ، يجب ألا أدع مجالاً للمصادفة كى تربط بين مصرعى وبين تدنيس تابوت الفرعون ( أخيروم ) .. ، لن أنتهى كسطر آخر يُضاف إلى الكتب التى تتحدث عن لعنة الفراعنة .. ولن أتحول إلى علامة استفهام أخرى تثير حيرة عالم يأتى بعد سنوات ...

إذا مُتّ فليكن ذلك لأن لعنة ( أخيروم ) تلاحقنى وليس لأننى حمار كما يزعم ذلك السائق غير المتحضر ..

الرعب يا صديقى .. الرعب ! ..

تأملت الحقول المظلمة على الجانبين وخطر لى أن سفرى بالسيارة كان مرهقًا أكثر من اللازم .. ما هى مشكلة القطار ؟ .. ( كفر الزيات ) .. ( إيتاى البارود ) ..

لن أنام .. إننى مُرهق وقد كان يومى حافلاً بحق .. لكنى سأظل متيقظًا ..

يحتاج السيد ( أخيروم ) إلى قدرة هائلة كى يلاحقنى فى رحلتى السريعة هذه .. إن هذه الفكرة تمنحنى اطمئنانًا حقيقيًا ...

( إسكندرية ) أخيرًا ..... لقد وصلت ..

عروس البحر التى أنهكنى عشقها ..

* * *

« ( رفعت ) .. ألا تلاحظ أنك للمرة الألف تتكلم عن مصاصى الدماء ؟ » .

قالتها ( هويدا ) فى شىء من الاستنكار لى ونحن جالسان فى تلك ( الكافتيريا ) الدافئة نصغى لموسيقا ( التانجو ) ونحتسى الكاكاو ..

ـــ « وماذا فى ذلك ؟ .. إن الحديث عن مصاصى الدماء مسلٍّ و .. » .

ـ « لكنها المرة الألف ... ! » .

قالتها .. وابتسمت فى شىء من الحنان .. ومضت تفسر موقفها :

ـــ « ألا ترى أن كل هذا يفوق المألوف .. ؟ .. خطيب يأخذ خطيبته لأماكن شاعرية كى يحدثها عن

مومياء ( دراكيولا ) وإصبع الرجل الذئب والنرويجى الذى التهمه ذلك الوحش الإسكتلندى بقضمة واحدة .. » ..

ـ « لكنها قصص شيقة وأنا أحبها .. » .

ـ « .. والأسبوع الماضى حدثتنى عن الموتى الذين يغادرون قبورهم فى ( جامايكا ) وعن حارس الكهوف الذى يهشم أعناق ضحاياه .. و .. » .

ـ « إنها أجمل ذكرياتى .. » .

صرخت بصوت أثار انتباه الجالسين جميعًا وأرسل الدم حارًا إلى أذنى ..

ـ « لكنى أكرهها ! .. وكلها تؤرق منامى ..! » .

أشعلت لفافة تبغ فى عصبية وكدت أوجه لها بعض كلمات قاسية ثم عدلت عن ذلك ، واكتفيت بأن دمدمت وأنا أدفن وجهى فى قدح الكاكاو :

ـ « الحقيقة هى أنك مللت وجودى .. » .

كنت أوشك أن أحكى لها مغامرة تشريح المومياء التى خضتها صباح اليوم لأثير إعجابها ، لكنها سكبت الماء البارد فوق نيران حماستى ، من السهل أن يمقت الرجل تلك الفتاة التى لا تهتم بما يهتم هو به ..

قالت فى شىء من الرقة :

ـ « دخنت كثيرًا .. » .

— « هكذا أنا .. » .

مدّت يدها إلى علبة سجائرى وألقتها فى حقيبتها أمـام نظراتى المحتجّة .. ذلك التصـرف الـذى لابـد أن تمارسـه أية خطيبة مع خطيبها حتى ولو كانت تحـبّ رائحـة التبـغ وحتـى لـو كـانت مدمنـة تدخيـن .. لابـد أن تقـول ذات النصيحة التى صارت مقدسة عند أية خطيبة ..

— « سـأكون حارسـة صحتـك .. ولـن تجـرؤ علـى الاعتراض .. » .

ثم هتفت فى مرح :

— « والآن دعنا نذهب إلى السينما ... » .

* * *

شرع الهنود الحمر يطلقون صرخـاتهم المفزعـة فـى حين وقف المأمور ( جيمـس ستيوارت ) ثـابت الجنـان يفـرغ رصـاص بندقيتـه فـى صدورهم .. ، وبعـد عـدة طلقات بدا واضحًا أنه قتل كل شخص فى الفيلم بما فيـه المخرج نفسه ..

تثاءبت فى سأم ، وعدت أشاهد الأحداث بنصف عيـن حين سمعتها تهمس فى مسمعى :

— « ليتك تكون مثله .. ! » .

— « وأقتل الهنود ؟ .. » .

ـ « بل تكون شجاعًا وسيمًا مثله .. » .

كدت أردّ عليها ردًا يبكيها .. ثم وجدت أن التسامح شيمة الكرماء فقلت :

ـــ « سأحاول .. أعدك بذلك .. ولكن غدًا إن شاء الله .. » .

ومضيت أتابع الأحداث فى تعاسة ...

أدرت وجهى لأرى الجالسين حولنا .. ، وكانوا قلة لأننا المخبولان الوحيدان اللذان يدخلان السينما فى هذا الطقس المنذر بعاصفة .. ، وفى الصف الواقع خلفنا كان هناك رجل يجلس وحده ومعالم وجهه غير واضحة فى الظلام ..

ثمة شىء غريب فى هذا الرجل ..

برغم الظلام شبه الدامس كنت أرى حدود وجهه واتجاه نظراته .. هذا الرجل لم يكن ينظر للشاشة بتاتًا ، بل كان يرمقنا بتركيز غير عادى .. !

قلت لنفسى إنه فضولى آخر يهمه إختلاس النظر لرجل وامرأة يتهامسان ، وعدت أتابع أحداث الفيلم شارد الذهن .. ثم أدرت رأسى نحوه بغتة ..

كان يرمقنا بنفس الإصرار والتركيز ..!..

إن هذا غريب .. غريب حقًا ..



هذا الرجل لم يكن ينظر للشاشة بتاتًا ، بل كان يرمقنا بتركيز غير عادى ..

إما أننى واهم ـ من فعل أعصابى المرهقة ـ وإما أنه وقح إلى درجة لا تُوصف ، أو هو مكلف بمراقبتنا من شخص لا أعرفه .. أو ...

انفجر مخزن الديناميت ـ على الشاشة ـ وتناثر الهنود فى الهواء ..

انتهزت هذه الفرصة وأدرت رأسى سريعًا تجاه الرجل لأرى وجهه فى الوميض المنبعث من الشاشة ...

فلم أجده ... ! ...

متى انصرف ؟ .. كيف لم أشعر به ؟ .. وكيف غادر مقعده بهذه السرعة وتحسس موطئ قدميه فى الظلام ؟ .. هناك شىء غير مريح فى كل هذا ...

ـ « ماذا بك ؟ » .

قالتها وهى تناولنى بعض ( الكاراميل ) .. فلم أجب ..

ـ « أنت تغار من ( جيمس ستيوارت ) ؟ » .

يا لك من حمقاء !! .. ما زالت تذكر الموضوع وتحسب شرودى دليلاً على الجرح العميق الذى أصابنى حين تخلّت عنى من أجل ( جيمس ستيوارت ) ! .. ، لهذا قلت لها وأنا أمتصّ قطعة الحلوى :

ـ « أنا أغار من المأمور وليس من الممثل ! .. » .

ـ « وما الفارق ؟ » .

ـــ « الثـانى يتظـاهر بالشجاعة لكنـى واثـق مـن أنــه يموت خوفًا لو أن فأرًا متحمسًا داعب قدمه .. » .

ضحكتْ وضحكتُ ، ونـاولتنى لوحًـا مـن الشـيكولاته وعادت تتابع الفيلم فى شغف ، فـى حيـن ذبـت أنـا فـى مستنقع تشـاؤمى الآسن مفكـرًا فيمـا عسـاه يحـدث فـى الأيام القادمة ..

وحين نظرت للوراء وجـدت ذلك الرجـل جالسًـا فـى نفس المقعد .. !

ـ « تعالى ننصرف ... » .

ـ « ولكـن .. مـاذا هنـالك ؟ .. إنــه لـم ينقـذ المغنيـة بعد .. » .

ـ « بالتأكيد سينقذها .. المهم الآن أن ننصرف لأننى لا أرتاح كثيرًا لهذا الرجل الجالس خلفنا .. » .

نظرت فى خفة إلى الوراء .. ثم سألتنى بحيرة :

ـــ « عـن أى رجـل تتحـدث ؟ .. لا أحـد فــى القاعــة سوانا ..!! » .

* * *

على سلم دارها صافحتها .. فشكرتنى علـى الأمسـية ودعتنى كى أصعد قليلاً لأشرب قدحًا من الشــاى وأحيـى والدتها ــ حماتى المقبلة ــ فاعتذرت لها بأن الوقت

متأخر ، وأننى يجب أن أعود للقاهرة فى ساعة مبكرة من صباح الجمعة .. ووعدتها بأمسية أفضل فى الأسبوع القادم ..

وما إن سمعت قرعات كعبيها المنتظمة على درجات السلم حتى واربت باب العمارة وعدت لسيارتى ، متجهًا إلى ذلك ( البنسيون ) الذى اعتدت أن أقضى فيه ليالى الخميس منذ خطبتها .. ، إن إقامتنا متباعدين لمشكلة ، لكننى كنت آمل بعد الزواج أن تنتقل لتعيش معى فى القاهرة خاصة وأمها العجوز تنعم بصحة لا بأس بها ، ولن تكون ثمة مشكلة فى تركها بالإسكندرية قريبة من ابنتها الأخرى ( سهام ) و ( عادل ) صديقى الذى أقحمنى فى كل هذا ...

وفى ساعة مبكرة من صباح الجمعة عدت أشق طريقى عائدًا إلى القاهرة ..

* * *

وكأنما كان بانتظارى ...

ما إن فتحت باب الشقة حتى دوّى رنين الهاتف ، ذلك الرنين المتقطع المتحمس الذى يدل على أن صاحبه يموت قلقًا .. !

رفعت السماعة بتؤدة وأخبرت الطرف الآخرأنه آلو..!

ـ « د. ( رفعت ) ! .. أخيرًا ! ..» .
كان هذا الصوت مألوفًا لكنى لم أعرف فى البدء من هو ..
ـ « أنا ( رمزى ) .. ( رمزى حبيب ) ..» .
ـ « آه ! .. كيف حالك يا دكتور ؟ » .
ـ « وأين كنت طيلة الليل ؟! » .
ـ « فى سفر .. ولكن ماذا حدث ؟ » .
هل أنا واهم أم أن هذا الصمت متعمّد منه .؟. لحظات مضت كالدهر لا أسمع سوى أنفاسه ، ومن بعيد صوت تلاوة قرآن الجمعة إستعدادًا للصلاة ..
ـ « د. ( رمزى ) .. ماذا حدث ؟ » .
تنهد فى شئ من الحرج ، وقال :
ـ « الأستاذ محمد رجب .. ! » .
قلت بصوت كالبكاء وقد أدركت ما هنالك :
ـ « مات ؟ ..» .
ـ « نفس الوفاة الغامضة .. خرجت زوجته مع أطفاله للنزهة ، وحين عادت كان جالسًا أمام التليفزيون فى نفس الوضع الذى تركته فيه ولكن ... » .
أنا لا أفهم شيئًا .. لا أفهم حرفًا ..
بنفس الأسلوب وبهذه السرعة ؟ .. ذلك الشاب

المتحمس الذى كان يثرثر أمسٍ عن ( أخيروم الأول ) ويتهمنى بانعدام الحس .. اليوم هو جثة شاخصة البصر جافة الدماء .. ، ود. ( رمزى ) ما زال يتكلم :

ــ « ... شرعى .. وكالعادة لا شىء ... » .

ثم سأل بشىء من التوتر :

ــ « هل أنت مصغ ... ؟ » .

ــ « بالتأكيد ... » .

ــ « إذن أتوسل إليك أن تكون حذرًا .. لا تبق وحيدًا لحظة ،.. لم لا تأتى لتمضية الأيام القادمة معى .. ؟ » .

ــ « شكرًا لك .. لكن الحذر لا يمنع القدر .. » .

ثم إننى وضعت السماعة .. واتجهت إلى المطبخ شارد الذهن ، فأعددت لنفسى بعض القهوة ، وكأى بيت مصرى عريق فى يوم الجمعة أشعلت بعض البخور ليعبق بخاره المحبب جوّ البيت .. ، ثم بدأت أستعدّ للصلاة فى المسجد القريب حين دقّ جرس الهاتف اللعين مرة أخرى .. هذه المرة ذلك الرنين الطويل العنيد الذى يدل على مصيبة قادمة من محافظة أخرى ...

ــ « آلو ... » .

صوت ( عادل ) الحازم يصرخ :

ــ « أين أنت عليك اللعنة ؟! » .

ـــ « يا لها من تحية لصديق .. ! » .
ـــ « أنا لا أمزح .. أين أخذت الفتاة ؟! » .
ـــ « أية فتاة .. ؟ » .
ـــ « ( هويدا ) يا أحمق .. ! .. ( هويدا ) .. ! .. لقد قضينا أسود ليالى حياتنا ، وفى الفجر أرسلت عشرة من رجالى يبحثون عنك وعنها فى كل مكان من المدينة دون جدوى .. ، وطلبتك ها هنا مرارًا .. أين هى يا ( رفعت ) ؟ .. ( رفعت ) ! .. أجب عن سؤالى ... » .

السماعة متدلية على الأرض وصوت ( عادل ) المعدنى يكرر صراخه :

ـــ « أين هى يا ( رفعت ) ؟ .. ( رفعت ) ؟! .. » .

.............................................

* * *

# الجزء الثانى
## الفتاة

« إن التدقيق فى شريك حياتك المقبل هام جدًا ..
يجب أن تعرفى عاداتــه .. صداقاتــه .. أحلامــه ..
أسراره .. والأهم .. يجب أن تتأكدى من أنه لا تطارده
مومياء فرعونية حانقة .. » .

## ٤ ـ بداية جديدة ..

قالت ( هويدا ) :

كان رقيقًا كالحلم.. غامضًا كالليل .. حزينًا كالغروب .. وكان يحبنى ..

* * *

فى البدء قابلته عند شقيقتى ( سهام ) فى دارها (*) ، وكانت قد أخبرتنى بعض الأشياء عنه ، منها أنه فى الأربعين من عمره وأنه صديق ( عادل ) زوجها منذ سنى الصبا الأولى وأنه خارج من قصة حبّ فاشلة مع فتاة أسكتلندية حمقاء ..

وهناك رأيته ودرست ملامحه ـ بالطبع دون أن يلاحظ ذلك ـ وكان كل شىء من الوسامة ، ليس قبيحًا وليس فاتنًا .. ، ثمة حزن عميق فى عينيه الذابلتين خلف منظاره وتجاعيد مريرة على جانبى فمه وعلى جبينه الحكيم ، وكان شعر رأسه قد زال أو كاد مما أكسبه لمحة أبوية محببة للنفس ..

---

( * ) هذا المشهد مكتوب بالتفصيل فى أسطورة ( آكل البشر ) ولكن من وجهة نظر ( رفعت ) .

بالطبع لم يكن أبدًا فارس أحلام ولن يكونه أبدًا ..
لكنه زوج .. وزوج مخلص بطبعه ..
وبلمحة لطيفة دعاه ( عادل ) إلى اصطحابى لمنزلى ، وهى الدعوة التى قبلها عن طيب خاطر .. ، طيلة طريق العودة للدار كان صامتًا لكنى كنت أشعر بألف قصيدة وألف عبارة غزل وألف حلم يصطرع على لسانه.، وكان يدخن بشراهة حقة ..
لم أدعه يوصلنى للدار نفسها بل لمدخل الشارع ، لأننى خجلت من أن يرى بيئتى المتواضعة .. على الأقل ليس فى المرة الأولى ..
وبعد هذا قابلته فى معرض لمثال قاهرى اسمه ( عزت ) ، والحق أقول إننى لم أكن أعرف مطلقًا أن هذا الـ ( عزت ) هو جاره ، ولقد دعانى ( عادل ) إلى حضور المعرض معه وأخبرنى أننا حتمًا ملاقيان ( رفعت ) هناك ..
لست مهتمة يا صديقاتى .. ، صدقينى يا أختاه .. ، لا أريد شيئًا منك سوى أن تساعدينى ، فى التزين ، وأن تقرضينى أفضل أثوابك وأن تلاحظى بعين منتقدة كل صغيرة وكبيرة فى مظهرى ...
أنا لا أعبأ به يا بنات .. ، حتى وهو يقطع حديثه مع



وبعد هذا قابلته فى معرض لمثال قاهرى اسمه ( عزت ) ..

المثال لتلتمع عيناه انبهارًا .. ويصافح ( عادل ) فى حماس ، ويبدأ فى الثرثرة عن ( مايكل أنجلو ) و ( أوجست رودان ) ، ولم أكن أهتم بموضوع حديثه أبدًا لكننى أحسنت الإصغاء واستمتعتُ بكل حرف ..

ومنذ هذه اللحظة أدركت أننا سنتزوج ..

حذرنى ( عادل ) ـ وياله من أخ كريم ـ من أن ( رفعت ) هذا غريب الأطوار كثير الأسفار .. وأن له اهتمامًا حميمًا بقصص الرعب التى كانت أمهاتنا تحكيها لنا ونحن بعد أطفال ..

لهذا لم أقلق كثيرًا حين تركنى وسافر للولايات المتحدة ..

ولم تفزعنى رحلته المفاجئة إلى اليونان ...

ولم تثر حفيظتى جولته فى ليبيا ...

ما دامت خطاباته الرقيقة وبطاقاته تصلنى من كل مكان يذهب إليه ..

الحق أقول يا صديقاتى إنه تبدّل كثيرًا ...

ازدادت خصلات الشعر الأشيب فى رأسه ، وتضاعفت تجاعيده ، وانعكست نظرة عجيبة فى عينيه بدلاً من نظرة الحزن العتيدة .. نظرة رعب .. نظرة قط حبيس يتوسل كى نفتح له الباب ..

وقالت لى شقيقتى وهى تغرس بعض دبابيس الشعر فى جدائلى :

ـ « لقد حان الوقت .. » .

ـ « وقت ماذا ؟ » .

ـ « لقد طالت القصة أكثر من اللازم .. » .

ـ « أية قصة .. ؟ » .

ـ « أسطورة العاشق المتردد .. ! » .

وشعرت شيئًا من الخشونه فى يدها وهى تعتصر خصلات شعرى .. فقلت :

ـ « يبدو خائفًا من الارتباط ... » .

قالت وهى تخرج من بين شفتيها دبوسًا آخر :

ـ « إن الرجال أطفال كبار وهم لا يتزوجون أبدًا ما لم يطلب أحد ذلك منهم .. » .

ـ « وتريدين أن أطلب ؟ » .

قالت فى دهاء :

ـ « ضعيه أمام مفترق الطرق .. إما أن يطلب يدك وإما أن يكف عن إرسال الخطابات والتودد .. » .

وقد كان يا أختاه ..

لقد كانت ليلة شبيهة بالحلم فى دار أختى يحفّ بنا أطفال وسيمو الوجوه كالملائكة ، وخاتمه الذهبى يغفو

ـ كالرضيع ـ حول إصبعى ..
وبدأت أعرفه أكثر ...
وبدأت زياراته تأخذ طابعًا منتظمًا .. ، فى دارى التى لم أعد أرغب فى ألا يراها ، ورفقه بأمى العجوز الطيبة .. ومودته المهذبة ...
شىء واحد ضايقنى فيه ..
هو لم يكن يحسن التعبير عن عواطفه ، ولم يكن يملك سوى سيل لا ينتهى من القصص الشنيعة عن مومياء مصاص الدماء والنداهة ، ورأس الشيطانة اليونانية التى تحيل البشر إلى رخام ..
كنت أصغى له متظاهرة بالاهتمام ...
لكن ما إن يجن الليل حتى تحتشد الأشباح فى غرفة نومى ، وأمضى الليل جالسة فى الفراش متكورة على نفسى ألعنه فى سرى ..
لقد صارت هذه القصص جزءًا أساسيًا من شخصيته ..
حتى أننى ـ فى أوقات عدة ـ كنت أشعر أنه هو نفسه كائن شيطانى من تلك الكائنات التى يتحدث عنها ..
أما الشىء الآخر الذى ضايقنى فهو سخريته المريرة ..
كان يسخر من كل شىء ، ويرى فى كل موقف مثير تكرارًا لا يخلو من الإملال .. لهذا كنت أسأله فى حيرة :

— « لماذا تتعامل مع الناس كأنهم دعابة سخيفة سمعتها مرارًا ؟ » .

— « لأنهم كذلك ! » .

ثم يشعل لفافة تبغ أخرى .. ويقول :

— « كل كلامهم قيل من قبل ، وكل حوادث حياتهم وقعت من قبل ... لكنهم نسوا .. » .

فيما عدا ذلك ...

أعتقد أن ( رفعت إسماعيل ) لم يكن بهذا السوء ...

* * *

حين صارحته برأيى فى كلامه عن مصاصى الدماء ، لم يبد سعيدًا جدًّا ، لأنه كان يحسب بداهة أننى أحب هذا الحديث ..

كنا جالسين فى الكافتيريا نحسو الكاكاو .. بينما لفافة التبغ التى لا تفارقه تبعث سمومها ما بين أصابعه ، لهذا رأيت أن أتخذ خطوة إيجابية ما ..

مددت يدى إلى علبة سجائره وأخفيتها فى حقيبتى .. وقلت بلهجة مرحة محاولة تهدئة مناخ التوتر :

— « سأكون حارسة صحتك .. ولن تجرؤ على الاعتراض .. » .

وإزاء نظرته النارية نحوى اقترحت عليه أن نذهب للسينما ...

لقد بدا لى ذلك شاعريًا وسط العواصف ونذائر الأمطار أن نجوب الدروب معًا ، وأن نجلس وحيدين فى قاعة السينما الدافئة نرمق الأحلام الملونة على الشاشة فى حين يسود الزمهرير الشوارع ..

كان الفيلم من بطولة ( جيمس ستيوارت ) ويتحدث عن مأمور قرية شجاع وسيم يحب مطربة حسناء ، لكن الهنود الحمر يخطفونها .. من ثم يصمم على استعادتها منهم ويطلق الكثير من الرصاص من أجلها ..

لكم تمنيت لو أن ( رفعت ) يملك عُشر .. مجرد عُشر قوة وشجاعة ووسامة ورقة ذلك المأمور ، لكنه ازداد تعاسة حين صارحته بهذه الأمنية ..

كان كثير الالتفات للخلف لسبب لا أدريه ، وفجأة دعانى للنهوض للنصرف مما أثار دهشتى .. لم أتصور أن تبلغ به الغيرة من بطل الفيلم هذا الحدّ المروع !.. ، كنت أحسبه أنضج من ذلك .

ـ « ولكن ماذا هنالك ؟. انه لم ينقذ المغنية بعد .. » .

قال كلامًا لا أفهمه عن رجل يضايقه فى الصف الخلفى ، وبالطبع لم أجد أحدًا فى ذلك الصف ولا فى قاعة السينما كلها ..

وهكذا واصلنا مشاهدة الفيلم وأنا شاردة الذهن أتساءل عما دهاه ...

* * *

كان البرد ينخر عظامنا حين مضينا عائدين فى الدروب المظلمة إلى دارى ، وكان هو متعكر المزاج إلى حدَ لا يُصدَق ..

إلا أنه لم ينس ـــ فى تحد واضح لى ـــ أن يبتاع علبة تبغ من بقال لم يغلق محله بعد فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ..

وأمام باب العمارة حيانى وتمنى لى أمسية طيبة ..

ـــ « ألن تصعد قليلاً لتحسو بعض الشاى .. ؟ » .

ـــ « نعم .. إن الوقت متأخر ... » .

ـــ « على الأقل لتودع أمى ... » .

ـــ « أبلغيها سلامى .. إن لدى من الأسباب ما يحتم سفرى فى التاسعة من صباح غد ، وهو وقت مبكر جدًا بالنسبة ليوم الجمعة ... » .

فى حنان سألته :

ـــ « نفس البنسيون .. ؟ » .

ـــ « لا يوجد غيره ... » .

ـــ « أعدك أنك ستنعم بالاستقرار أيها العزيز .. قريبًا جدًا .. » .

هزّ رأسه فى رقة ، ووقف على الباب ينتظرنى حتى أصعد درجات السلم فى ضوء المدخل الخافت ، ثم لم أعد أراه فأدركت أنه انصرف ..

* * *

تقع شقتى فى الطابق الثالث ، ولما كانت البناية من طراز قديم فإن الطوابق مرتفعة جدًّا ، وعدد الدرجات المتآكلة للدرج لا نهائى ..

شرعت أعبث فى حقيبتى باحثة عن المفتاح ، ثم إننى رفعت رأسى ببطء لأرى ... كان هناك رجل متشح بالظل يقف على قمة السلم عند الطابق الثالث وقد عقد يديه على صدره فى صبر كأنه ينتظرنى .. !

من هو ؟ .. هل هو أحد الجيران ؟ .. مستحيل .. فليس الوقوف على سلم فى منتصف الليل من ديدنهم .. ، وماذا يبتغى بالضبط ؟ ..

لم أكن قادرة على رؤية وجهه الغارق فى الظلال ، لكن شيئًا حدثنى أننى لا يجب أن أفعل .. رعب غامض غير مبرر سرى فى عروقى وجعلنى غير راغبة بأى حال فى تمييز ملامح هذا الغريب ...

كان قلبى يتواثب كالضفدع ...

هل أصعد وليكن ما يكون ؟ .. مستحيل ...

هل أصرخ ؟ .. ربما يكون الأمر كله غير ذى أهمية ، وعندئذ سأبدو للجيران جميعًا حمقاء إلى حدّ لا يصدق ، وعلى كل حال فإن الصراخ سيذهب بالبقية الباقية من تعقلى ...

إذن أهبط ...

أهبط سريعًا لألحق بـ ( رفعت ) وأدعوه إلى أن يصعد السلم معى ...

شرعت أنزل الدرجات مسرعة محاولة ألا أحطم كاحلى من جراء التواء كعب الحذاء العالى ، ولم أجرؤ قط على رفع عينى لأرى ما إذا كان ذلك الغريب قد شرع يهبط السلم خلفى أم لا ..

هواء الليل البارد ، والشارع ، والأضواء الخلفية الحمراء لسيارة ( رفعت ) إذ تبتعد إلى مكان لا يمكن أن يسمعنى منه .. !

يالك من غبى يا ( رفعت ) !.. يالك من معتوه .. ! .. لماذا لم تصعد معى ؟ ..

لم يبق أمامى سوى إيقاظ جارتنا ( فتحية ) المقيمة بالطابق الأول كى توقظ بدورها ابنها الشبيه بالغوريللا ( هشام ) كى يصعد معى ( ليتفاهم ) بطريقته مع ذلك السيد الذى لا يجد شيئًا أفضل يفعله سوى ترويع بنات الأسر الرقيقات ...

إن ( هشـام ) سيستمتع أيمـا استمتاع بضرب ذلــك الوقح ...

دخلت من مدخل البناية ...

فوجدت نفس الهيكل المتشح بالظلام واقفًا ينتظرنى .. فى بئر السلم هذه المرة .. !

* * *



فوجدت نفس الهيكل المشع بالظلام واقفًا ينتظرنى .. فى بئر السلم
هذه المرة ..!

## ٥ ــ الهرب إلى لا مكان..

« أفق من إغمائك فإنك ستهزم الجميع .. لقد انتصر ( بتاح ) على خصومك فلا وجود لهم .. » .

* * *

شرعت أجدّ السير بخطوات واسعة فوق الأسفلت ..

كنت أستطيع الجرى لكننى كنت أخشاه كما خشيت الصراخ من قبل ، لأنه سيستهلك قواى الجسدية والعصبية ويشعرنى بذعر حقيقى ..

ضوء مصابيح الشارع الذابلة ، وكلب أجرب يرمقنى فى حيرة ، وبعض القطط المشعثة تكف عن الشجار فوق كومة من القمامة وعيونها الواسعة تتساءل عما هنالك..

ليتنى كنت أستطيع أن أخبرها ..

ولحسن الحظ كان البقال عند الناصية يوشك على إغلاق حانوته .. عم ( جلال ) العجوز الطيب الذى اشتريت منه أقراص النعناع وأنا بعد طفلة .. وأشترى منه الحنّاء لشعرى وأنا شابة .. ، البقال الذى ابتاع ( رفعت ) علبة التبغ من عنده منذ ربع ساعة ..

دخلت الحانوت الآمن ممتقعة الوجه باردة الأطراف.. رائحة الجبن الرومى و الزيتون و الكحول .. ذلك الخليط المحبب للنفس ، والوجه الباسم المجعد لذلك الرجل الطيب ...

ـ « عمّ ( جلال ) ... » .

ـ « هل ذهب الدكتور يا بنيتى ؟.. » .

ـ « نـ .. نعم .. هل أجد عندك أ.. مياهًا غازية ..؟..» .

هزّ رأسه فى حيرة :

ـ « فى هذا البرد ؟.. ما دمت تريدين ذلك .. ولماذا جئتِ وحدك فى ساعة كهذه ...؟ » .

ـ ابتلعت ريقى ، وشرعت أحكى له مغامرتى القصيرة بصوت مرتجف .. وسياق مختل ..، لكنه فهم فحوى القصة .. لذا احمر وجهه غضبًا وأمسك السكين التى يقطع بها الجبن ملوحًا :

ـ « سأوصلك لدارك .. ودعى إبن الـ ( ... ) هذا يحاول أن يعترض طريقك ، عندئذ لا يلومن إلا نفسه ..!» .

ـ « إنه آت بنفسه !! » ..

هكذا قاطعته و أنا أشير إلى الشارع المظلم خارج دائرة الضوء ..

صرخت فى هستيريا وأنا أرى ذلك الظل المخيف يتقدم فى تؤدة من الحانوت و يداه فى جيبه .. فلم أتمالك الا أن أرتجف ...

انتابت البقال العجوز حمى الشهامة فاندفع نحو القادم ملوحًا بالسكين .. وأمسك به من قفاه وهو يسبّه أقذع السباب .. و ...

ـ « إننى أعرف كيف أتعامل مع أمثالك ممن يتسلّون بإفزاع الأبرياء .. » .

شرع الرجل يحاول التملص مرددًا أنه لا يفهم وأن هناك خطأ ما .. لكن البقال كان متحمسًا ، وهنا بدأت ابتسامة تغزو وجهى :

ــ « أ .. عم (جابر) .. ليس هذا هو الرجل ..! » .

ــ « لكن الإجرام باد على وجهه ! » .

ـ « لم أر وجهه وهو آت .. أما الآن فأراه .. إنه زوج جارتنا .. وهو بالمناسبة مفتش تموين !.. » ..

. شرع عم ( جابر ) يعتذر للرجل البرىء الذى جاء ليشترى علبة تبغ من الحانوت الوحيد المفتوح فى هذه الساعة المتأخرة .. وشرع يؤكد للرجل أن من لا يعرفه يجهله ، وأنه لامؤاخذة فى حماية فتاة بريئة مثلى ...

فى كبرياء قال الرجل وهو يصلح من شأن ثيابه :

ـ « إذا كنت ستضرب كل من يشترى علبة تبغ بالسكين فإننى لا أتوقع أن تروج تجارتك كثيرًا ! » .

ثم دسَّ ما اشتراه فى جيبه وانصرف محنقًا .

* * *

لبضع دقائق ساد الصمت ...

بدأ البقال العجوز يغلق المحل فى تؤدة برغم نفاد صبرى ، ثم إنه تأبط ذراعى كأب يصطحب ابنته إلى المدرسة فى يومها الأول .. وقال لاهثًا من شدة البرد :

ـ « هيا بنا ... » .

ـ كان يرتجف .. ويلهث .. ويسعل حتى شعرت بشفقة حادة تجاهه ...

ـ سرنا معًا ببطء شديد عدة خطوات متجهين لدارى التى يعرفها جيدًا ...

كان يرتجف .. ويلهث .. ويسعل حتى شعرت بشفقة حادة تجاهه ...

وفجأة .. لمحت ذلك الرجل ...

بالتأكيد هو هذه المرة ...

كان يقف تحت أحد أعمدة الإضاءة ويداه معقودتان على صدره ، والظلال تغمر وجهه بنفس الأسلوب الذى رأيته على سلم دارنا ...

ـ « إنه هو هذه المرة ...! » .

قلتها وتصلب ذراعى وازدادت قبضتى إحكامًا على الحقيبة ..

ـ « انتظرى هنا ... » .

قالها فى حزم ، ثم سار فى بطء مبالغ فيه نحو ذلك الخيال المتحدى .. سار حتى اقترب منه جدًّا .. ثم سمعت صوته الغاضب :

ـ « أنت يا أستاذ .. كفاك هذا العبث واللعب بأعصاب الـ ... » .

لماذا كفّ عن الكلام ؟.. لماذا تصلبت نظراته على وجه الغريب ؟.. لماذا يترنح ؟.. لماذا يمسك صدره بيده ؟ .. بل ـ والأدهى ـ لماذا يسقط على الأرض ؟!..

إن شيئًا ما فى وجه الغريب قد أصابه بهلع حقيقى .. هلع أودى بقلبه الواهن ..، أو ربما هو نوع من التنويم المغناطيسى .. أو هو فقدان وعى ...

المهم ـ فى جميع الظروف ـ أننى قد فقدت حارسى الوحيد ...

يجب أن أهرب ..

يجب !.. ولكن لأين ؟..

شرعت أركض وأنا لا أسمع سوى صوت كعبى حذائى

علـى الأسفلت المهشم ..، كنت أرتدى معطفًا لهذا لـم يضايقنى البـرد كثيرًا ..، ثمـة كـلاب يسـتفزها ركضـى فتعوى وتفكر فى ملاحقتى لكنهـا ــ لسبب لا أدريـه ــ تئن فى رعب وتهرب هى الأخرى وذيولها بين أفخادها..

لم أجرؤ على النظر خلفى ...

لكنـى توقفت مـرة واحدة وخلعت فردتـى الحـذاء .. وبغلّ شديد هشمت كعبيهما لأتمكن من الركض بسـهولة أكثر .. فلم يعد هناك وقت للتأنق ...

( رفعت ) .. ليتك هنا لتفسر لى هذا الذى يحدث ..

* * *

دخلت إحدى الحوارى الجانبية وشرعت أعدو .. وأعدو .. المنزل الذى كتب على جداره بالطباشير رقـم (١٢) هو مـنزل صديقتـى (هنـد) .. المهـم ألا يكـون المدخـل مغلقًا .. الحمد لله !.. إنـه مفتوح .. المهم ــ كذلك ــ ألا أجد ذلك المجهول واقفًا ينتظرنـى ..

لا أدرى كيف .. لكننى كنت قد فهمت ــ تلقائيًا ــ أن الأمر يتجاوز حدود الماديات وأنـه يتعلق بشىء مـا .. شىء من وراء الطبيعة ، شـىء هـو أكثر غموضًا مـن مجرد متسكع يلاحقنى ...

لكنـه لم يكن هنالك ...

شرعت أوسع الباب ضربًا فى هستيريا ...
الدموع تتزاحم على خدى وصوت نشيجى يتعالى ...
صوت مزلاج يُفتح ..، وباب الشقة القديم يئن كاشفًا عن وجه أبيها وقد ارتدى جلباب النوم ، وخلفه امرأته تبسمل وتحوقل ...
أخذت أردد عبارات مختلطة لم يفهموا منها سوى أن أمى تموت ، لكنى استجمعت أنفاسى ما بين العبرات وأشرت لأسفل :
ـ « رجل .. من شارعنا .. لم يكف .. البقال .. » .
نظر الأب فى حيرة إلى إبنته التى أحاطت كتفى بذراعها وأجلستنى على المائدة فى حين أحضرت أمها كوبًا من الماء لى ..
أخيرًا استعدت قدرتى على الكلام ، فشرعت أحكى لهم القصة الكاملة منذ فارقت ( رفعت ) حتى وصلت لهنا ...
ـ « هل هو واقف ؟ » .
ـ « ربما .. لـ .. لا .. أد .. أدرى ... » .
اتجه الأب إلى النافذة وفتحها .. وأطل على الليل البهيم فى الخارج ..
ـ « هل هو هذا الشخص يا بنيتى ؟! » ..

نهضت فى هلع واختلست نظرة إلى الحارة من فوق كتفه .. نعم ..

كان هو .. واقفًا معقود اليدين على صدره تحت أحد أعمدة الإضاءة كعادته ،انه يفضل الإضاءة القادمة من أعلى لأنها تخفى وجهه وسط الظلال ..

ـ « هو يا عمى .. هو ... » .

أغلق الأب النافذة .. وعالج أزرار الجلباب الذى يرتديه ليخلعه ، وهو يغمغم بشىء عن النزول لمواجهة ذلك الوغد ومعرفة ما يريد بالضبط .. وطلب من امرأته أن تناوله (يد الهون) من المطبخ لتكون سلاحًا عفويًا .. إلا أننى تشبثت به فى لوعة :

ـ « كلا .. أرجوك !.. أنت لم تر ما أصاب البقال حين رآه .. » .

ـ « ولكن ... »

ـ « أرجوك !.. أنا هنا فى مأمن .. فقط دعونى معكم حتى الصباح .. » .

ـ بدا عليه شىء من الارتياح .. فهو ـ ولا ألومه ـ لم يكن راغبًا فى أن يخوض هذا الموقف ..، كما أنه لم يكن يملك جهاز هاتف يطلب به البوليس ..

ـ « وأمك ؟.. كيف نخبرها ؟ »

قلت وأنا أرتجف :

ـ « دعها .. فهى لن تعانى خطرًا سوى القلق ، لكنها ستغفر لى كل شىء فى الصباح حين تعرف ما حدث ... » .

وهكذا ...

قدمت لى أم ( هند ) بعض سندوتشات الجبن و كوب شاى ، ثم أحضرت لى (هند) قميص نوم من قمصانها ، وقادتنى إلى حجرة النوم وهى تبدى المرح وتثرثر وتسألنى ـ فى خبث ـ عن ( رفعت ) ..

وعلى الفراش تربعت .. وشرعت ترينى ألبوم صور خطبتها ..، وتنتقد هذه الفتاة وتلك المرأة ، فى حين كنت شاردة الذهن تمامًا .. ثعابين القلق تنهش قلبى .. وأنت تفهمين ذلك يا أختاه ...

كيف تشعر أمى وماذا تقول فى هذه اللحظات إذ تأخرت ابنتها الوحيدة الباقية معها فى العودة للدار حتى الثالثة بعد منتصف الليل ..؟

مسكين أنت يا ( رفعت ) !.. ستكون أنت المتهم الأول فى قضية تأخرى ..

ولم أكن أعرف أن أمى لم تضع وقتًا ..

لقد اتصلت بـ ( عادل ) و ( سهام ) فى دارهما وشرعت

تولول ، من ثم أطلق ( عادل ) عبارات السباب قائلًا إنه ما كان يجب أن يثق بمعتوه مثل ( رفعت ) هذا ..، أما ( سهام ) فقد قالت إن عينها اليسرى تختلج منذ أيام ثلاثة .. وأن فى هذا دليلًا لا يُدحض على أننى قد مُتّ أو ـ على أفضل الاحتمالات ـ أحتضر فى مستشفى ما ..، وقد نزل ( عادل ) يجوب المدينة بسيارته .. فهو لم يكن يعرف عناوين صديقاتى ولا أين يقضى ( رفعت ) ليلته ..، بل أنه استعان بعشرة مخبرين أشداء من مديرية الأمن كى يفتشوا عنى تحت كل حجر فى المدينة وفوق كل منضدة تشريح وكل سرير مستشفى ...

كل هذا وأنا جالسة على الفراش أصغى لثرثرة (هند) .!

* * *

استيقظت فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة ...

أصابنى الهلع ووثبت من الفراش كالملسوعة لأرتدى ثيابى وأحمل حقيبتى جارية إلى الخارج ..

وفى الصالة وجدت الأسرة الصغيرة جالسة على مائدة الطعام تتناول طعام الإفطار .. وقد أشرقت وجوههم بالمودة والانتعاش ..

ـ « هلمى يا بنيتى .. اغسلى وجهك ثم تناولى إفطارك .. » .

ـ « لكنى تأخرت .. » .

قال الأب وهو يرشف بقايا كوب الشاى ويطالع عناوين الجريدة وقد دلّى نظارته على قصبة أنفه :

ـ « لن تخرجى دون إفطار .. أنا سأوصلك لدارك بنفسى .. »

وهكذا دخلت الحمام وغسلت وجهى أمام المرأة ..

يا لتقاطيعى المنهكة وجفونىٍ المنتفخة !.. لقد كانت أحداث الليلة الماضية عصيبة حقًا .. لا أراكن الله ليلة كهذه يا صديقاتى ..

عدت للمائدة وجلست .. وكانت ( هند ) تهرس لى بعض الفول فى طبق .. ثم أضافت بعض الزيت وقالت :

ـ « نمتِ كثيرًا ... » .

ـ « كلوح من الخشب .. وإننى لأشكركم بشدة .. » .

وشرعت ألتهم الفول فى اشتهاء على حين داعبت أنفى رائحة البخور الزكية قادمة من المطبخ حيث كانت أم ( هند ) تعدّه ..، ومن بعيد ترامت لأذنىّ أصوات تلاوة القرآن استعدادًا لصلاة الجمعة ..

ما أطيب الأسرة المصرية وما أعذبها ..!

نظر لى والد ( هند ) من فوق إطار منظاره متسائلاً :

ـ « هيا بنا ؟ » .

ـ « إذا سمحت .. » .

وقبّلت ( هند ) وأمها التى حرصت على تحميلى ألف سلام للحاجّة ، مع توصية لى بسرعة إتمام الزفاف حتى لا أكون وحيدة أبدًا مرة أخرى ، ثم سرت وراء الأب عائدة لدارى ...

وفى ضوء النهار بدت لى الحارة مكانًا باسمًا ولطيفًا إلى أقصى حدّ ..

شىء صغير أثار انتباهى ..

هو أنه أسفل عمود النور .. عمود النور الذى كان الغريب واقفًا تحته ليلة أمس .. كانت هناك جثة كلب ، كلب تقلصت ملامحه كأنما كان يعانى أعتى الآلام لحظة احتضاره ...

وعلى بعد خطوات تناثرت أربع جثث لأربعة فئران ..

ـ « ما الذى قتل هذا الكلب ؟.. » .

تساءل الأب وهو يرمق الجثة فى حيرة ، إلا أن هذا السؤال بدا لى سخيفًا ...

سخيفًا إلى حدّ لا يُوصف ...

* * *



عمود النور الذى كان الغريب واقفًا تحته ليلة أمس .. كانت هناك جثة كلب ..

## ٦ـ خطر ما ...!..

حين وصلت لدارى وجدت مشهدًا يفوق كل ما توقعت ..
فما إن شكرتُ ( سهام ) ـ شقيقتى ـ أبا ( هند ) على توصيله لى ، وما إن انغلق الباب علينا حتى تحولت إلى ذئب مسعور ، واعتصرت ذراعى بين إصبعيها سائلة إياى عما حدث ، وهى تضغط على أسنانها فى توحش .. ، وكانت أمى فى أسوأ حال .. على حين جلست جاراتى اللواتى تعرفنهن يا بنات .. أم ( شريف ) وأم ( بلبل ) وأم ( ثناء ) ـ أولئك الشمطاوات ـ يمصمصن بشفاههن متصعبات ...
وبعد ثوان دخل ( عادل ) ولم يكن ترحيبه بى أقل مودة :
ـ « أين كنتِ يا ( ست هانم ) ؟! » .
وبعد ساعتين اندفع ( رفعت ) من الباب صارخًا فى هستيريا :
ـ « لقد أوصلتها بنفسى وأقسم على هذا ..!! » .
كان عسيرًا بعض الشىء أن أحكى قصة البارحه ...
لكنى حكيتها وأنا أرتجف ...

* * *

ما إن انتهيت حتّى ساد الصمت بضع دقائق ...

قالت ( سهام ) فى توتر ، وهى تربّت على كتفى :

ـ « ما رأيكم ..؟ » .

قال ( عادل ) شارد الذهن :

ـ « محاولة اعتداء .. ونحن نقابل العشرات منها يوميًا ... » .

ـ « وما رأيك يا د. ( رفعت ) .. ؟ » .

قال ( رفعت ) فى غموض وهو يشعل سيجارة :

ـ « ثمة سؤال واحد يضايقنى .. هل الصواب لغويًا أن نتساءل ( من ) الذى هاجمها أم ( ما ) الذى هاجمها ؟! » .

ـ « وهل هناك فارق ؟ » .

ـ « لغويًا .. فارق شاسع .. » .

صحت فى رضا وقد سرنى ذكاؤه :

ـ « نعم .. نعم .. أنا نفسى شعرت بشىء غير عادى فى كل هذا .. » .

تساءل ( عادل ) فى حيرة وهو يضع ساقًا على ساق :

ـ « ما هو الشىء غير العادى فى كل هذا ؟ » .

قال ( رفعت ) وهو يتأمل حلقات الدخان :

ـ « تأمل معى يا ( عادل ) ما يحدث ، ثمة شخص ينتظرها على باب الدار ولا ترى وجهه .. شخص يعرف

عنوانها ووقت عودتها .. شخص يهبط درجات السلم بسرعة البرق ودون ضوضاء .. شخص يتبعها عبر الطرقات ولا تعدو الكلاب خلفه بل تفر منه .. ، وما إن يرى البقال انبانس وجهه حتى يخرّ ساقطًا على الأرض ... ، هل تجد أن كل هذا مألوف فى سجلاتكم ..؟» .

ثم نظر لى فى شىء من الانتصار ، واستطرد :

ـ « .. بل أننى قابلته فى دار السينما أمس .. وكلما حاولت أن أتبين وجهه لم أجده .. قلت لك ذلك وحسبتنى مخبولاً ... » .

كنت أنا شاردة الذهن .. ها هم أولاء جميعًا جالسون هنا من أجلى .. يا لهم من أعزاء !.. أعزاء إلى حد لا يصدق .. كلهم باتوا ليلتهم ساهرين وحتى ( رفعت ) الذى لم يكد يصل للقاهرة حتى عاد منها ..!.. إننى أحبكم .. أحبكم جميعًا يا ملاعين !..

يمكننى الآن أن أترك المشكلة كلها ـ وأترك نفسى ـ لهم .. ستجد ( سهام ) الأريبة ما تقترحه ، وستتكفل حكمة ( رفعت ) وخبرته بإيجاد الجواب ، وسيحمينى ( عادل ) الشجاع القوى من كل سوء ..

لا تحسدننى يا فتيات .. سأدعو الله أن تنلن سعادتى جميعكن .. كان ( عادل ) يقول :

ـ « أنت أستاذ فى الاستنتاجات الخاطئة يـا ( رفعت ) .. وموهبتك فى استخلاص نتائج مرعبة من معطيات عادية هى شىء معروف ، أنت تذكر المتاهات التى دخلناها معًا مع آكل البشر إياه ..

قال ( رفعت ) فى حرج وهو يئد سيجارته :

ـ « قبل أن تظلمنى .. سأحكى لك عن شىء قمت بـه أمس بناء على تكليفِ رسمى من مصلحة الآثار ، ولكـن أرجو أن تتركنا النسوة وحدنا قليلاً ... » .

ـ « ليكن هذا ... » .

* * *

حين فرغت ( سهام ) من سلق البيـض نـاولتنى بـراد الشاى الساخن وصينية عليها بعض الأكواب .. وهمست فى خبث :

ـ « هو يحبك حقًّا ... » .

احمر وجهى كالطماطم .. وهمست :

ـ « لا أدرى .. » .

ـ « لقد كان يموت قلقًا عليك .. إن الرجل الذى يترك سماعة الهاتف متدلية ويهرع ليثب فى سيارته مسـافرًا إلى الإسكندرية بعد ربع ساعة من عودته منها لهو رجل يحب ! .. احترسى يا حمقاء وإلا سقط البرّاد منك ! » .

واتجهنا إلى الصالة حيث كان الرجلان يستكملان محادثتهما الطويلة ، كان ( عادل ) متوترًا أما ( رفعت ) فقد بدا عليه مظهر من يدافع عن قضية خاسرة ..

- « وهكذا تجد أننى فى مأزق حقيقى .. » .

- « ولماذا ( هويدا ) بالذات ؟ .. ما دام يلاحقك أنت ... » .

- « لا أدرى .. ، لكننى واثق بأننى المقصود بما حدث لها و ... » .

ثم إنه قطع كلامه حين أحس بوجودى .. فأخبرتهما أننا أعددنا لهما وجبة خفيفة ما دام أحدهما لم يذق الطعام منذ الصباح ...

جلسا على المائدة وشرعا يأكلان كالمحرومين ، وبعد برهة قال ( عادل ) فى كياسة :

- « ( هويدا ) .. ثمة أسباب معينة تجعلنى أقرر البقاء معك ووالدتك على الأقل هذا الإسبوع ... » .

- « و ( سهام ) ؟ .. » .

- « ستعود للبيت من أجل الطفل أو يبقيان معنا هنا سيّان .. لكنى أحبذ الرأى الأول .. » .

- « و ( رفعت ) ؟ » .

توقف عن المضغ ورمق ( رفعت ) بنظرة ذات معنى ، وهمس :

ـ « لا مكان له هنا .. سيعود للقاهرة .. وليحرص على ألا يكون وحيدًا ... ! » .

لم أفهم حرفًا .. لكن أمعائى تقلصت من مناخ التوتر المنذر بالخطر .. المناخ الذى ينطق به كل حرف من كلمات ( عادل ) ..

* * *

منتصف الليل ...

أغفو فى حجرتى المغلقة على حين ينتظر ( عادل ) فى الصالة نصف نائم وقد تمنطق بحزام مسدسه وأراح قدميه على مقعد خشبى أمامه .. وجواره يردد المذياع أغنية لـ ( عبد الوهاب ) .. ، أمى تغفو فى حجرتها هى الأخرى وقد هدّها التعب ...

صوت الأغنية يدغدغ أهداب روحى ...

« أين من عينيك هاتيك الـ ... » .

ضوء الصالة الخافت يتسلل من أسفل الباب ، وتكتكة الساعة ، وصوت أنفاسى المنتظمة وأنا بين النوم واليقظة ...

« يا عروس البحر .. يا حلم الخيـ ... » .

هل هى الفئران ؟ .. بالتأكيد هى .. صوت شىء خشن يحتك بخشب مصراع النافذة ..

« ذهبى الشعر ... » .

الصوت يتعالى فى إصرار غير عادى ، أكاد أقسم إنه صوت أصابع تتحسس إطار النافذة ...

« شرقى السمات ... » .

نهضت من الفراش على أطراف أصابعى ، وبخفة اقتربت من النافذة ، وعلى الضوء الخافت استطعت أن أرى ...

« مرح الأعطاف حلو اللفتـ ... » .

ذلك النصل الحاد يدخل ما بين مصراعى ( الشيش ) محاولاً أن يرفع المزلاج لأعلى ...!

« كلما قلت له خذ ... » .

حاولت أن أصرخ لكن الصوت احتبس فى حلقى ، لم أستطع سوى الركض إلى الباب .. الى الصالة وهززت ( عادل ) لأوقظه بينما صوت الأغنية يتعالى فى أذنى .

« قال هاتِ ... » .

وثب ( عادل ) كالملسوع ، وأخرج مسدسه وهرع إلى غرفة النوم خلفى .. وأضاء النور الكهربى ، وأمام عيوننا المذعورة كان النصل يواصل محاولة فتح المزلاج .. ! .. ، إن هذا اللص أحمق أو هو لا يخشى النور ...

« .. خلته ذوّب فى الكأس عطره ... » .

أشار بإصبعه إلى فمه ليخرسنى ، ثم اتجه نحو النافذة .. وبحذر شديد أزاح المزلاج لأعلى ، ثم فتحه بحركة مفاجئة درامية ..

هل كان هذا بابًا من أبواب الجحيم ؟ ! ..

لا أذكر سوى أننى كنت أصرخ فى هستيريا .. ، و( عادل ) يجرّنى بأعنف ما استطاع بعيدًا عن الحجرة ..

بينما ذلك الشىء الذى لا يُصدق ولا يُوصف ينساب فى داخل الغرفة مَقيتًا لزجًا .. كانت له يدان آدميتان ، أما فيما عدا ذلك لا أذكر ...

« آه لو كنت معى ... » .

معًا نركض إلى الصالة ، نغلق باب حجرتى بأعنف ما يمكن على هذا الشىء حتى لا يخرج لنا .. أصرخ .. أولول .. ( عادل ) يزأر .. يرتجف ...

أمى صحت من نومها وخرجت لترى ما هنالك وهى تفرك عينيها ...

ـ « ماذا حدث يا أولاد .. ؟ .. هل جننتما ؟ .. » .

قال ( عادل ) من بين أسنانه ، وهو يعالج خزانة المسدس :

ـ « كابوس يا حماتى ! .. شىء لم أر مثل بشاعته دخل من نافذة غرفة النوم .. » .



بينما ذلك الشىء الذى لا يُصدق ولا يُوصف ينساب فى داخل الغرفة مقِيتا لزجًا ..

ــ « ولم تطلق الرصاص .. ؟ » .
ــ « لم أجرؤ .. إن القواعد المادية لا تنطبق عليه .. لم يتسع تفكيرى كى ... » .
وهنا سمعنا صوت الاحتكاك إياه ...
ذلك الشىء ــ أو الشخص ــ يحاول أن يفتح باب غرفة النوم ... !
لن يطول الأمر قبل أن ينجح .. وعندئذ ...
رنين الهاتف الطويل المتقطع ...
جريت لأرد وعيناى لا تفارقان باب غرفة نومى .. سمعت صوت ( رفعت ) يصرخ :
ــ « (هويدا) .. هل علبة سجائرى بعد فى حقيبتك ؟ » .
ــ « هل تمزح يا ( رفعت ) ؟! .. أنت لا تدرى ما يحدث هنا ... » .
ــ « أرجوك أن تسمعينى .. تخلصى من العلبة فورًا .. ارميها من النافذة فلا وقت للشرح .. » .
ــ « لكن الحقيبة بما فيها داخل غرفة النوم معه ..!» .
ــ « مع من .. ؟! » .
لم أدر كيف أردّ فوقفت أرمق باب الغرفة الذى بدأ يتخاذل .. ( عادل ) متصلب العضلات لا يدرى ما يفعل .. أمى تمسك برأسها غير فاهمة أى شىء ..

« حلم ليل من ليالى ( كليوبترا ) » ..
الباب يتهاوى ..
( رفعت ) يردّد فى السماعة كمن أصابه مسّ :
ـ « مع من يا ( هويدا ) ؟ .. مع من ؟ ! » .
..................................
* * *

## الجزء الثالث

## الصديق

« نعم .. علماء النفس الغربيون يؤمنون بالإيقاع الحيوى .. ويؤمنون أن هناك أشخاصًا خُلقوا ليقعوا فى المتاعب التى تسببها حماقاتهم .. ، أما فيما يتعلق بصديقنا ( رفعت إسماعيل ) فالأمر يختلف .. إن المتاعب تطارده سواء ارتكب حماقات أو لم يرتكب .. وسواء كان إيقاعه الحيوى فى القمة أو الحضيض .. » .

## ٧ ـ المومياء التى حيرتنا ..

قال د. ( رمزى ) :

لم أكن أحسب كل هذا ممكن الحدوث .. لكنه حدث ..

* * *

بدأ الكابوس فى الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٦٦ ..

لقد وجد بعض رجالنا آنية أصلية لابد أنها تعود للأسرة السادسة ، وكان ذلك فى مدينة ( الأقصر ) على ضفة النيل الشرقية ...

أنتم تعلمون يا رفاق أن الفراعنة كانوا يدفنون موتاهم فى الجهة الغربية من النيل ، وكانوا يصفون من مات بصيغة مهذبة هى : رحل غربًا ، لهذا لم أتوقع أبدًا أن الحفريات ستجد مدخل مقبرة فى ذاك الموضع وبعيدًا جدًّا عن ( وادى الملوك ) الشهير ...

لكن هذا حدث ..

ومن اللحظة الأولى أدركنا أن هذه المقبرة تختلف فى كل شىء عما تعودناه .. النقوش فى مدخلها .. ، وتعويذة التحذير التى تقول :

ـ « إن الذى يكمن الشر فى أحشائه سينثر الرعب فى قلوب المتطفلين ... » .

وحتى الدرجات المؤدية لأسفل .. والأختام ، كلها كانت من نمط غير مألوف .. بالأضافة لعدد غير عادى من صور ( ست ) إله الشر عند الفراعنة .. ، كل شىء كان يحمل طابعًا مقيتا مشئومًا ...

ودون تردد أجمع علماؤنا على أنهم لم يسمعوا قط عن هذا الفرعون الذى سنسميه هاهنا ـ لغرض السرّية ـ باسم ( أخيروم الأول ) .. وهو اسم يفتقر للطابع المصرى الفرعونى لكنه قريب جدًا من الأصل ...

قمنا بنقل المومياء إلى مخزن خاص بمصلحة الآثار ..

وفى يوم رأس السنة الميلادية اجتمع خمسة علماء آثار من خيرة رجالنا على وصف التابوت وتصويره ، ثم قاموا بفتحه فى حضور عدد محدود من المتخصصين ...

الواقع أننا بالغنا فى تهورنا ...

لم نحاول أن نتساءل لحظة عن سرّ امتناع اللصوص عن السطو على هذه المقبرة بالذات .. هل كانوا يعرفون شيئا لا نعرفه ؟ ..

نعم لا أنكر أنه كانت هناك آثار أقدام .. لكنها آثار ملهوفة مبتورة فوق الغبار كأن من دخلوا أسرعوا بالفرار لسبب لا ندريه ...

ولا أنكر أنه كانت هناك مومياء أحدهم راقدة على جانبها وعلى وجهها ارتسمت أعتى أمارات الهلع كأنها رأت الشيطان ذاته .. ، لكننا فسّرنا الأمور بالأسلوب الذى راق لنا ، وقلنا إن جو المقبرة الخالى من الرطوبة ساعد على حفظ المومياء كل هذه القرون ...

دعك من أن العثور على مومياء لصّ غير مُحنّطة بعد مالا يقل عن عشرين قرنًا بدا لنا مثيرًا ومشوقًا ...

وهكذا يارفاق فتحنا التابوت ...

وبحرص أزال علماؤنا الرقائق الذهبية الخارجية ، ولم يغفلوا عن ذلك التحذير الرهيب الغريب الذى يطاردهم فى كل لحظة ...

كنا قد بدأنا نستنتج أن هذا الفرعون كان منبوذًا من الكهنة لسبب أو لآخر ، أو لعلهم وجدوا فرصتهم الوحيدة للانتقام منه بعد وفاته ..

بدأنا كذلك ندرك أنه كان يمارس السحر على نطاق واسع ...

وثمة احتمال لا بأس به أنه هو من حمى مقبرته بنفسه ...

المهم أنهم كتبوا تقريرًا كاملاً عن حالة التابوت ، وتصورهم لموقع ذلك الفرعون فى التاريخ القديم لمصر ، وأرفقوا بذلك عددًا من الصور ...

وكنا على وشك إزالة الأكفان لفحص الجسد نفسه ، حين توالت الوفيات كأنها مستعمرة ذباب رُشّ عليها مبيد حشرى جيّد .. أو حوض أسماك زينة سُكبت فيه زجاجة ( كيروسين ) .. أو أى تشبيه آخر يروق لكم ...

خمس وفيات لخمسة علماء فى أسبوع واحد ...

لا يمكن أن يكون الأمر صدفة ..

* * *

أوفدت وزارة الداخلية وفدًا عالى المستوى من كبار خبراء البحث الجنائى وعلى رأسهم اللواء ( مراد شريف ) ليحقق فى أمر هذه الوفيات ، وكان الغالب على الظن أن هناك مؤامرة معنية من دولة أجنبية بهدف إرهاب علمائنا أو منعهم من الثرثرة ( كانت ذكرى القنابل الإسرائيلية المرسلة لعلماء الصواريخ الألمان مائلة فى أذهاننا ) (*) ..

إلا أن الخيوط لم تتجمع قط فى نقطة واحدة ..

لم يجرؤ أحد على التفوه بلفظة ( لعنة الفراعنة ) ...

لكننا كنا واثقين تمامًا أن هذا هو التفسير الوحيد ...

---

(*) حدث هذا بالفعل فى أثناء قيامهم بإسداء العون العلمى لنا فى تصميم صواريخ ( القاهر ) و ( الظافر ) .

قلت للواء ( مراد ) فى أثناء زيارة لمكتبه :

- « هل وجدتم حيطًا .. ؟ » .

ابتسم فى إرهاق .. وقال :

- « ماذا تريد ؟ .. حين يموت رجل فى غرفة أغلق بابها ونافذتها من الداخل دون دليل على كونه انتحر ، عندئذ يخرج الأمر من أيدينا .. ! » .

- « هل تعنى ؟ ... » .

- « لا أعنى سوى ما قلته ... » .

ثم إنه فتح ملفًا أمامه .. وقال وهو يرتدى منظاره :

- « هو ذا تقرير الطب الشرعى .. كما ترى لا آثار عنف .. لا جروح .. لا كدمات .. فقط تعبير الهلع المرتسم على الوجه .. و ... » .

- « وماذا ؟ ... » .

ابتسم فى قسوة ورمقنى من فوق إطار منظاره العلوى :

- « .. لا أثر للدماء فى عروقهم ... ! » .

- « ولا جلطة ؟! » .

- « ولا جلطة واحدة .. إننى أعتقد أن الأمر يتعلق بمصاص دماء أكثر منه بأى مجرم عادى نعرفه ... » .

شعرت بالقشعريرة تغزو مسام جلدى ..

ثمة شيء واحد يربط بين الضحايا الخمس .. ، وهذا يعنى أن ما وجدناه لم يكن مجرد قبر فرعون مجهول .. بل هو ..

* * *

كنت جالسًا فى دارى شارد الذهن أفكر فيما عساى فاعله .. لن أستطيع ألا أستمر لأن هذا عملى .. ولن أستطيع أن أتمادى فى خطر داهم كهذا الذى أنا بصدده لأنها حياتى ..

إن معنى هذا الذى يحدث .. أن كل من يتعامل مع المومياء يخطو نحو كارثة .. ، لكننى لا أملك الصلاحيات التى أمنع بها المزيد من البحث العلمى .. ولا السلطة التى تخولنى إعادة المومياء لقبرها وإغلاقه ...

أمسكت برزمة من المجلات الإنجليزية أتصفحها على سبيل تزجية الوقت إلى أن تنتهى زوجتى من إعداد العشاء ، وهى بالمناسبة مدرسة تحاليل طبّية فى كلية الطب جامعة ( ... ) ...

ـــ (( هل رأيت هذه المجلة ؟ .. انظر الصفحة العاشرة .. )) .

قالتها وهى ترصّ الملاعق فى الأطباق وعلى شفتيها بسمة انتصار ..

أمسكت المجلة المذكورة وقلبت صفحاتها حتى وصلت الصفحة العاشرة ، وكانت بها صورة ملونة كبيرة لرجلين أحدهما أشقر الشعر والآخر أسمر اللون أصلع الرأس يبتسم فى بلاهة ..

وكان التعليق على الصورة يقول ببنط أحمر كبير : مصرى وأمريكى يقهران ( الزومبى ) ...

قالت زوجتى فى حماس :

ـ « اسمه ( رفعت إسماعيل ) .. زميل عمل لى فى نفس الجامعة .. » .

ـ « وما تخصصه ؟ » .

ـ « أمراض الدم .. » .

شرعت أقرأ المقال فى اهتمام ، وكان يتحدث عن مغامرين واجها أسطورة ( الزومبى ) فى (جامايكا ) حيث أثبتا أنها خرافة ، وتمكنا من القضاء على مدير مزرعة ( جذام ) أساء استغلال مرضاه ، أما الأمريكى فمهندس حاسبات آلية .. وأما المصرى فطبيب يزعم أنه وجد مومياء ( دراكيولا ) وشاهد وحش ( لوخ نس ) الأسكتلندى الخرافى ...

سألت زوجتى فى شىء من التوجس :

ـ « هل هو معتوه ؟ » .

ــ « ربما .. لكنه صادق ومخلص وعلى قدر لا بأس به من الذكاء ... » .

ــ « وهل حقًا عاش هذه التجارب .. ؟ » .

ــ « يُقال ذلك ... » .

ــ « ومن قال ذلك ؟ » .

ــ « هو ... ! » .

تأملت ملامحه .. وشعرت أننى ــ ربما ــ لن أخطئ كثيرًا إذا ما وثقت به .. ، ومن يدرى ؟ .. ربما هو أكثر ذكاء مما يوحى به مظهره .. ، ثم هو طبيب متخصص فى أمراض الدم ويمكنه أن يثبت أو ينفى وجود داء فى دم العلماء الخمسة ، .. وهو ذو خبرة فى عالم الرعب ، وأكاد أجزم أن لديه ما يقول فى مأزقنا هذا..

لقد رتّب القدر أن أرى صورته .. ولن أدع هذه الفرصة تضيع ...

ــ « هل لديك رقم هاتفه ؟ » .

ــ « إن عنوانه موجود لدينا ... » .

ــ « إذن سيكون هو رجلنا ... » .

* * *

وهكذا أرسل اللواء ( مراد ) إحدى سياراته لتحضر

لنا هذا الرجل هاوى الأشباح ..، ومعها استدعاء رسمى له طلبًا لرأيه العلمى كتبناه بصيغة جافة تثير الرعب فى قلبه ...

وكان انطباعى الأول عنه هو أنه مهذب وعلى قدر من الرقىّ .. إلا أنه عصبى وحساس إلى حدّ مرضى .. ، وكان يدخن كمدخنة قاطرة وأنا لا أطيق المدخنين ...

شرعت أشرح له بكياسة ما هنالك ، لكنه كان قادرًا على الاستنتاج .. مع ( رفعت إسماعيل ) تشعر دائمًا بأن الحياة لعبة كرة قدم شاهدتها مرارًا .. أو دعابة سمعتها من قبل ، وهو لا يملك الصبر ولا الكياسة كى ينتظر حتى تقول دعابتك كاملة ، بل يصرخ فى وجهك أنه سمعها بمجرد أن تفتح فاك ..

ودائمًا ما يحاول إشعارك أنك لن تثير دهشته أبدًا ...

المهم أننى عرفته بزميلنا الفاضل الأستاذ ( محمد رجب ) عالم المصريات العتيد الذى شرع يعطيه خلفية أكثر تفصيلاً عن الموقف ..

ولقد حاول هذا الزميل أن يخفى حقيقة الجثث الخالية من الدماء عن د. ( رفعت ) لكنى أصررت على أن يكشف له الأوراق كاملة ليعرف ما ينتظره ...

أما حين بدأ اللواء ( مراد ) يشرح له ما تعرفه الشرطة

عن الحادث بدا واضحًا لنا أنه ركز تفكيره حول لعنة الفراعنة ، تلك اللعنة التى أدركنا من بعض كلماته ومن توتره الواضح أنه يعرف عنها الكثير ...

ثم جاء السؤال الأساسى :

ـ « هل ستفحص المومياء .. ؟ » .

بدا عليه التفكير .. لكنى كنت أعرف أنه سيقبل ...

إن د. ( رفعت ) من هؤلاء الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يقولون كلمة لا .. ثم إن رغبته فى الظهور بمظهر المتحضر الذى لا يخاف الخرافات لكفيلة بأن توردهُ موارد الهلاك ...

ولم أكن مخطئًا ...

* * *

وفى اليوم الحادى والعشرين من يناير ...

كان د. ( رفعت إسماعيل ) يتأهب للقيام بفحص المومياء ، ولم نجد من يقبل معاونته سوى الأستاذ ( محمد رجب ) الذى حاول أن يكون متعقلاً جريئًا ..

وكان هناك مصوّر شاب قبِل أن يصوّر العملية بكاميرا تصوير سينمائى مقياس ١٦ مم على ضوء الكشافات ...

ولم يكن أحدهم يتوقع أن أبواب الجحيم ستنفتح .. ولن نستطيع غلقها ...

# ٨ ـ عودة الرعب ..

ارتدى ( رفعت ) ثيابًا سخيفة لكنها فعالة .. فوضع على أنفه قناعًا واقيًا من الغازات ، وعلى يديه قفازين ..، ثم أحضر جهاز شفط غبار وعداد ( جايجر ) لقياس الإشعاعات التى يحتمل وجودها ..

لقد كان حذرًا ـ والحق يُقال ـ لكننى أومن أن التفسير المادى العقلانى لهذه الأحداث غير وارد .. وهو أشبه بمحاولة منع الحسد باستعمال مرشح للأشعة تحت الحمراء .. ! .. ، كان يحاول استبعاد كل احتمال آخر بحيث إذا أصابه مكروه غدا جليًّا لنا أن لعنة الفراعنة هى السبب ، وهو أسلوب علمى صحيح فى التجريب يقوم على تثبيت كل العوامل عدا العامل المراد اختباره ..

إن هذا الرجل يملك عقلاً منتظمًا لكنى لا أحبه كثيرًا .. وهذا ذنبى لا ذنبه ..

* * *

بعد دقائق من الانتظار المرعب سمعنا صوت جسد

يسقط داخل القاعة ولم تكن عندنا تفسيرات عديدة ، كل ما هنالك أننا نسينا حذرنا واندفعنا لداخل القاعة لنجد ( محمد رجب ) ممددًا على الأرض في حين كان د. ( رفعت ) ـ ذلك المخبول ـ يواصل وضع عيناته في حقيبته بلا مبالاة حقيقية .. بل أنه بدا مغتاظًا من الموقف كله ، وقال إن كل ما هناك مجرد حساسية مفرطة من ( محمد رجب ) .. وغادر المكان ونحن معه ...

في مكتبي جاءني د. ( رفعت ) وأخبرني وهو يرشف القهوة أن المومياء بلا أحشاء ...

أليس هذا عجيبًا ؟.. مومياء من الأسرة السادسة بلا أحشاء ! .. ولم نكن قد وجدنا أية أوعية ( كانوبية ) في المقبرة وهذا يعني أنه لا تفسير هنالك ..

كان التساؤل يدوي في دهاليزعقلي .، لكن د.( رفعت ) ـ غير المتخصص ـ لم يعلق أهمية كبيرة على الموضوع واعتبره نوعًا من التحذلق ...

أمسكت بسماعة الهاتف وطلبت د. ( شاكر ) في معامل وزارة الصحة كي ينتظر العينات التي سنرسلها له من أجل فحصها بدقة وإجراء قائمة طويلة من البحوث التي طلبها د. ( رفعت إسماعيل ) ...



واندفعنا لداخل القاعة لنجد ( محمد رجب ) ممددًا على الأرض فى

حين كان د. ( رفعت ) !!

وكان هذا الأخير يدخن بإفراط غير مبال بفداحة هذه الجراحة التى مارسها منذ دقائق .. ، لهذا حاولت أن أفزعه .. حدثته عن الأيام السوداء التى تنتظره وعن الرعب الذى يهون الموت معه ...

لكنه لم ينفعل .. وانصرف لأنه ذاهب ليلقى خطيبته...

ما هى نفسية الرجل الذى يبدأ يومه باستفزاز شيطان فرعونى وينهيه بجلسة رومانسية مع خطيبته ؟! .. إما أنه شجاع جدًا .. أو أحمق جدًا ..

* * *

عدت لدارى وجلست أشاهد التليفزيون مع امرأتى ..

كنت أرمق الشاشة بنصف عين وأنا أقلب صفحات بعض مراجع المصريات علّنى أجد ما ينير لى الطريق ولو قليلاً ..

غريب هو شغف الفراعنة بالملينات .. واستعمال الحقن الشرجية ، تلك التى تعلموها من طائر ( أبو محجن ) الذى يمارس هذه العملية بانتظام مستعملاً منقاره ، كانوا يؤمنون أن منبع الأمراض والأرواح الشريرة هو الأحشاء ، وأن عملية التخلص من الفضلات هى نوع من التطهّر .. و...

« إن الذى يكمن الشر فى أحشائه ... » .
هذه هى العبارة المريعة التى وجدناها فى القبر .. وهى ليست استعارة أدبية إذن ، بل هى الحقيقة .. ، ولهذا انتزعوا أحشاء ذلك الفرعون بعيدًا عن موميائه لأنهم ظنوا – أو أدركوا – أن الشر الذى حرّك حياته كلها كان كامنًا فى أحشائه ...
ولهذا لم نجد أية أوعية ( كانوبية ) فى المقبرة لأنهم دفنوا الأحشاء بعيدًا فى الصحراء أو أحرقوها أو رموها للتماسيح .. ، كانوا يمقتون الفرعون لكنهم لم يجرءُوا على التخلص من جثته ؛ لذا دفنوه كأجداده بطريقة محترمة .. فقط غطوا الشىء الوحيد الذى يحميهم منه ومن شره ...
وإننى لأجسر على القول إنهم كانوا مخطئين ...
فهذا الاحتياط لم يمنعه من قتل اللص والعلماء الخمسة ..
لقد كان الفراعنة حريصين على حماية موتاهم ، لكنهم كانوا يفضلون طرقًا أخرى غير الأساليب الشنيعة التى استخدمها ذلك الشرير ...
كنت غارقًا فى هذه الخواطر حين دق جرس الهاتف فنهضت زوجتى لترّد ، ثم عادت إلىّ حاملة بعض ثيابى لتنظفها بالفرشاة ، وقالت وهى تجلس :

ـ « يريدونك .. مكالمة لك ... » .
نهضت لأردّ متوقعًا مصيبة مّا .. لكن كان هذا هو صوت أحد مساعديّ يبشرني بشيء جديد :
ـ « وجدنا أوعيته ( الكانوبية ) ! وهي قادمة الآن من ( الأقصر ) .. » .
ـ « أوعية من ؟ » .
ـ « ( أخيروم ) طبعًا ... » .
شعرت بالشعر ينتصب على مرفقيّ .. والثلج يتكاثف أسفل عمودي الفقري ..
ـ « كـ .. كيف ؟ » .
ـ « قبر صغير جدًا جوار القبر الأصلي ، وكان يحوي وعاءين عليهما نقوش عديدة وصور لـ ( ست ) وتحذيرات لا تنتهي ولعنات تنهال فوق رءوسنا .. » .
ـ « وهل فتحتم الوعاءين ؟ » .
ـ « لسنا من هواة هذه الأشياء ... » .
ـ « إذن لا تفتحوهما .. ممنوع .. تأكد من سلامتهما وبعدهما عن الشروخ .. » .
ـ « لك هذا .. ولكن لماذا ؟ » .
ـ « هي قصة طويلة .. فقط إفعل ما أقول ... » .
ـ ثم إنني وضعت السماعة وعدت لزوجتي طالبًا منها

إعداد ثياب للخروج ، حيث أننى قررت الذهاب فورًا لرؤية هذين الوعاءين .. ، قالت وهى تنظف سترة البدلة ملتقطة شيئًا ما بين إبهامها والسبابة :

— « هو ذا الدليل على أن لك زوجة ثانية دون علمى.. ! » .

— « حقًا ؟ ... » .

— « .. وهى تعمل فى مصنع سكر ... ! » .

ووضعت ذلك الشىء فى كفى .. مجرد بللورة صغيرة جدًا كرقائق الثلج كانت عالقة بقماش البدلة الوبرى ، وكان هناك الكثير منها .. لا أذكر طبعًا أين وكيف التصقت هذه الأشياء بىّ ، لكنه لم يحدث ـ حتمًا ـ فى مصنع سكر ...

— « ليكن .. والآن أعدى ثيابى لأنى ذاهب للقاء زوجتى الثالثة التى تعمل فى مدبغة جلود ... » .

شرعت تساعدنى فى ارتداء بدلتى وتربط لى ربطة عنقى .. ، ثم طلبت منى ألا أتأخر كثيرًا ...

— « لماذا ؟ .. » .

ابتسمت فى قسوة وقد لذّ لها أننى وقعت فى الشرك :

— « لأن الليلة عيد زواجنا ... ! » .

* * *

ـ « هل ستفتحه الآن .. ؟ » .
قالها مساعدى وهو يتأمل أحد الوعاءين فى شغف..
كأن الأحمق يتحدث عن جرّة مليئة بالشيكولاتة .. ، لم أردّ عليه برد لاذع لأنى كنت مشغولاً فى تأمل النقوش باحثًا عن الرمز إياه .. ، نعم .. هاهو ذا من جديد : الذى يكمن الشر فى أحشائه سيفعل بكم كذا وكذا..

إن كهنة ( آمون ) والحق يُقال لم يتركوا فرصة لكى يزعم أحدنا أنه لم يقرأ التحذير .. لقد أدوا واجبهم على خير صورة ، ومن يتجاهل التحذيرات بعد هذا إنما هو يفعل ذلك على مسئوليته الخاصة ...

ـ « هل نفتحها الآن ؟ » .
كرر السؤال فى إلحاح ، فهززت رأسى :
ـ « ربما كان من الحكمة أن ننتظر رأى ذلك الطبيب هاوى الأشباح ... » .
ـ « لكنه مجرد مدع ولا يفقه شيئًا فى التاريخ الفرعونى .. » .
قالها فى اشمئزاز ... فرددت دون كثير اقتناع بما أقول :
ـ « ليس سيئًا إلى هذا الحدّ .. ثم إنه لا يعبأ كثيراً بالخوف من هذه الأشياء .. » .

ـ « لأنه لا يعرف ما نعرفه .. » .
نظرت له فى اهتمام .. وردّدت عبارته مفكرًا :
ـ « نعم .. هو لا يعرف ما نعرفه ... » .

* * *

ولكن ما الذى نعرفه نحن ؟ ..
هاهى ذى الشمعة يترقرق لهبها مع أنفاسنا حين جلست أنا وزوجتى أمام التورتة الصغيرة التى أعدتها لحفلنا المتواضع ...
عامنا العاشر.. دون أطفال ودون أحداث هامة ، لكننا سعيدان .. ولم تزل شمعة الحب مشتعلة ، صحيح أنها لم تعد ذلك البركان الملتهب القديم ، لكنها غدت شعلة هادئة منتظمة تمنحنا الانتعاش والدفء ...
فى رقة همست حبيبتى الصغيرة ( برغم أنها اليوم فى الأربعين من العمر ) :
ـ « ألم تملّنى بعدَ ؟ ... » .
ـ « حين تملّ الزهور زيارة الربيع .. سأملّك أنا ..» .
ـ « لم أمنحك أطفالاً ... » .
ـ « الشمس لا تنجب شموسًا .. » .
ـ لم أ ...... » .
رررررررن .. اللعنة ! .. جرس الهاتف يدوّى ناخرًا

فى أطراف أعصابى ، هرعت لأردّ متأكدًا ـ هذه المرة ـ أن فى الأمر كارثة ...

ـ « لقد مات ( محمد رجب ) !! » .

لم أدر للحظة ما أقول وما أفعل ، ثم ابتلعت ريقى :

ـ « من يتكلم .. ؟ » .

ـ « ياله من سؤال .. ! اللواء ( مراد ) طبعًا .. » .

ـ « ومن مات ؟ » .

ـ « ( محمد رجب ) .. منذ ساعتين .. ! » .

ثم إنه شرع يحكى لى القصة الكاملة ، وهى ـ بالطبع ـ تتلخص فى أن امرأته غادرت الدار مع أطفاله للنزهة .. وتقول إنه كان بصحة جيدة .. لم يعان من إرهاق ، ولم يطلب كوب ماء كعادة المتوفين ، بل تركته يقهقه ضاحكًا أمام التليفزيون يشاهد فيلمًا لـ ( إسماعيل ياسين ) .. ، وحين عادت كان جالسًا فى نفس المقعد ونفس الجلسة يحدّق باهتمام فى حوار ممل عن ( اقتصاد ( زامبيا ) فى الستينات ) .. ، الأمر الذى أثار ريبتها ..

وحين تفحصت حالته بدقة أدركت أنه لم يعد فى عالمنا ..

ومن السخف أن نفترض أنه مات من الملل أو من شدة مقته لـ ( زامبيا ) ..

لقد تحرك الفرعون للمرة الثانية ، ولكن بسرعة غير عادية .. سرعة لم نتوقعها أبدًا...

لقد كان هذا الفتى بيننا صباح اليوم يثرثر عن ( أخيروم ) ، ويعاون د. ( رفعت ) في فحص المومياء .. ، والكارثة أن هذا الأخير سيؤكد لي أن إغماء ( محمد رجب ) لم يكن نذيرًا بوفاته .. وسيحدثني عن العصب الحائر ويرطن بعدة مصطلحات لاتينية لا أفهم منها شيئًا .. ، ولن أجرؤ وقتها على اتهامه بالافتقار للبراعة ...

ولكن ....... بمناسبة ( رفعت ) ...

هل هو على ما يُرام ؟ .. أنا أعرف أنه يعيش وحيدًا وهذا يعني أنه صيد سهل ، ثم هو المرشح رقم واحد في قائمة المطرودين من عالمنا .. ، أدرت القرص كالمعتوهين وانتظرت ، فلم أسمع سوى صوت رنين الجرس يدوي في شقته الخالية ..

نسيت أنه مع خطيبته التي لم أكن أعرف أنها تعيش في الإسكندرية .. لهذا واصلت طلب الرقم .. التاسعة .. العاشرة .. الحادية عشرة ليلاً ..

وهنا تذكرت ...

هناك شخص ثالث يتصدر القائمة .. ، صحيح أنه لم

يقلق راحة الفرعون لكن من أدرانى أن ( أخيروم ) عادل إلى هذا الحد ؟ ..

طلبت رقم ( نادر ) وانتظرت فى قلق بضع ثوان حتى سمعت صوته المبحوح يردّ .. قلت فى هلع :

ــ « ( نادر ) .. لقد هلك الأستاذ ( رجب ) .. لا تبق وحيدًا .. أرجوك ألا تبق وحيدًا ... » .

قال فى هلع يفوق هلعى بمراحل :

ــ « د. ( رمزى ) .. هناك أشياء لا أفهمها ! » .

ــ « نعم . نعم .. كل هذا غامض .. » .

ــ « أنا أتحدث عن الفيلم .. الفيلم الذى قمت بتصويره .. » .

ــ « هل فسد ؟ .. » .

ــ « كلا .. لكنه أظهر أشياء غريبة .. » .

وارتجف صوته :

ــ « أشياء غريبة جدًا ... » .

* * *

## ٩ ـ يجب أن نتحرك ..

ـ « سأرى هذه الصور غدًا يا ( نادر ) .. أما الآن فلا تنس نصائحى .. » .

وعدت إلى زوجتى وكانت قد غرقت فى نعاس عميق بعد أن فسدت الأمسية تمامًا .. لقد تعكر مزاجنا لعدة أجيال ...

سأعاود طلب د. ( رفعت ) فى ضوء النهار .. أما الآن فلأنم ...

ذكرونى أن أشترى بعض سم الفئران غدًا لأن صوت مخالبها يدوى عابثًا فى مصراع النافذة الخشبى ...

فئران عملاقة كما هو واضح .. سأعنى بأمرها فى الصباح ، أما الآن فأنا مُنهك .. مُنهك ...

......

* * *

فى الصباح وحوالى الساعة العاشرة استجاب د. ( رفعت ) لمحاولاتى المتكررة على الهاتف .. أخبرته بما حدث أمس فى كياسة .. ونصحته نصيحتى لـ ( نادر ) إلا أنه قال فى كبرياء :

ـ « إن الحذر لا يمنع القدر ... » .
ولم يسترسل فى الحديث .. لكنى لا ألومه كثيرًا .. وأفهم ـ إلى حد ما ـ ما يشعر به ...
أن يتهددك خطر لا يجدى معه إبلاغ البوليس ولا امتلاك ، سلاح ولا تربية كلب ، ولا تحصين النوافذ .. أليس هذا مريعًا ؟!
بمناسبة النوافذ .. نسيتم أن تذكرونى بفحص مصراع النافذة الذى أرجو ألا تكون الفئران قد التهمت منه جزءًا ...
كانت غرفة النوم تطلّ على شرفة تشترك مع غرفة أخرى تُفتح عليها بباب ، وكانت الشرفة مرصعة بالبصل معلقًا على عدة مسامير ، كأى بيت مصرى يحترم نفسه .. كما كانت هناك جرّة أو جرتان مليئتان بالعسل الذى أرسله لى أقاربى فى الصعيد ..
لهذا بدا غريبًا أن تهاجم الفئران نافذة يحيطها البصل ، والمعروف أنها تنفر من رائحة هذا الأخير ... بل إن ...
عسل وبصل .. ! .. أين يجتمع هذان العنصران ؟ ..
فى شرفتى بالطبع .. و ... أين ؟ ...
وهنا تبادر الجواب إلى ذهنى محدثًا صدمة شبه كهربية :

« اخرج يامن تأتى فى الظلام وتدخل خلسة .. » .

هكذا كانوا يعالجون الطفل ويحمونه ناسبين هذه التعويذة إلى ( إيزيس ) .

« لقد حصنته منك بالبصل الذى يؤذيك ، وبالشهد الذى هو حلو المذاق فى فم الأحياء ، ومرّ فى فم الأموات » .

هذا هو الحل ...

لم تكن الفئران هى التى تعابث نافذتى ...

بل شىء آخر .. شىء ينفر من البصل والعسل .. شىء تحدث عنه الفراعنة وحصنوا أطفالهم منه ...

هذا الشىء حاول اقتحام غرفتى ...

وحمانى البصل والشهد منه ...

وارتجفت ...

إذن أنا قد تبوأت موضعى فى القائمة .. أنا الذى لم ألمس شيئاً بيدى ولم أظهر فى ( الصورة ) قط .. ولكن لماذا ؟ ...

* * *

فى دار ( نادر ) جلسنا نشاهد الفيلم الذى قام بتصويره لـ د. ( رفعت ) والمرحوم ( محمد رجب ) إبان فحص المومياء ...

كانت المشاهد تتتابع و ( نادر ) يشرح لى فحوى كل لقطة لأن الإضاءه لم تكن كافية وهو لم يكن معتادًا على استعمال الكاميرا المحمولة باليد لهذا كانت يده ترتجف.. ترتجف حتى كادت الصورة تصيبنى بالعمى ..

ـ « يكفى هذا يا ( نادر ) ... » .

ـ « صبرًا .. هاهو ذا يفك طبقات الكفن .. » .

وهنا أصبت بالذهول ...

عشرات الشموس الصغيرة تضىء على الشاشة وتتناثر هنا وهناك ، ثم د. ( رفعت ) يمسك بعض هذه الشموس ويضعها فى وريقة .. ، ( رجب ) يتناول بعضها ويفركها بين أنامله .. ثم يتحدثان .. ويسقط ( محمد رجب ) فاقد الوعى على حين ندخل نحن .. ، المشاهد تتأرجح .. ثم يسود الظلام الشاشة .. وينتهى الفيلم .. صوت هدير المحرك فقط ..

ـ « ما هى هذه الأجسام المضيئة ؟ » .

سألت ( نادر ) فى دهشة .. فقال وهو يعيد الفيلم لعلبته :

ـ « بللورات دقيقة جدًّا وجداها ولم يعرفا كنهها .. العجيب أنها كانت خامدة تمامًا فى عالم الواقع .. أما بعد التصوير .. » .

ـ « لا أفهم ... » .

ـ « إنها مشعة .. مشعة بجسيمات خاصة تؤثر فى الفيلم الحساس ولا تؤثر فى عداد ( جايجر ) ... » .

ـ « وهل هى تشبه بللورات السكر إلى حد كبير ؟ » .

ـ « نوعًا .. لكن ما هى ؟.. إننى لم أر شيئًا كهذا من زمن ... » .

ـ « ولا أنا .. لكننا دخلنا وحاولنا مساعدة الأستاذ المغشى عليه وبالتالى التصقت هذه البللورات ـ كحبوب اللقاح ـــ بثيابنا , ولابد أن ( رفعت ) قد نال نصيبه منها ... » .

قال ( نادر ) فى ثقة :

ـ « لم يلمسها .. لكنه جمع بعضها فى وريقة .. » .

ـ « وأين هى ؟ » .

ـ « دسَّها فى علبة سجائره ...! » .

ـ « وأنت ؟... » .

ـ « لقد كنت بعيدًا طيلة الوقت .. » .

لقد فهمت ....

* * *

لقد استخدم ( أخيروم ) أسلوبًا معقدًا كأسلوب البنوك فى التعرف علىاللصوص عن طريق مادة ملونة

لا يمكن إزالتها توضع فى بعض أوراق العملة التى يسرقها هؤلاء , إن من يفتح المقبرة يلوث نفسه بهذه البللورات الدقيقة المشعة .. وبالتالى يصير هدفًا واضحًا محددًا .. لمن ؟.. لحارس المقبرة الشيطانى طبعًا ...

يجب إنذار ( رفعت ) فالله وحده يعلم أين وضع علبة سجائره .. أما مشكلتى أنا فهى أكثر تعقيدًا ...

لقد وجدت زوجتى البللورات على بدلتى ونظفتها بالفرشاة وتبعثرت على السجادة وفى كل مكان ..، وهذا يعنى أنه من المستحيل أن أتخلص من مطاردة الشيطان ... يجب أن أغادر شقتى ...

على كل حال وكخطوة أولى سأخبر ( رفعت ) ...

أدرت قرص الهاتف عدة مرات دون جدوى ..

إن هذا الرجل لا يدخل داره إلا ليغادرها ...

ظللت أحاول مرارًا وزوجتى ترمقنى بنظرات خرساء .. ثم إنها تأكدت من خبالى حين أمسكت بذراعها لآخذها لبيت أخيها ..

قالت وهى تصعد فى درجات السلم :

ــ (( سيظن أنك طردتنى ... )) .

ــ (( إن زوجة مطرودة لهى أحسن حالاً من زوجة ميتة ! )) .

ـ « لا أفهم ... » .

ـ « ومن يفهم ؟.. » .

ثم إننى قدت سيارتى إلى مكتبى .. كانت الساعة تدنو من الحادية عشرة مساءً حين دلفت للداخل يتبعنى الخفير مذهولاً ، وجلست على المكتب وطلبت مسئولاً هامًا فى مصلحة الآثار.. وحكيت له القصة كاملة ولا داعى لأن أقول إنه اعتبرنى مخرفًا ..

ـ « وماذا تريد ؟ .. » .

ـ « التخلص من الأوعية الكانوبية وإعادة دفن المومياء .. » .

ـ « وهل هذا كاف ؟ » .

ـ « إنه الحل الوحيد الذى أعرفه ... » .

ـ « دعنى أدرس الأمر .. إنه الجمعة كما تعلم و..» .

ـ « لم يكن الجمعة يوم إجازة عند الفراعنة .. ولن يجد حارس المومياء ما يمنعه من قتلنا جميعًا فى يوم جمعة ... » .

ـ « إذن دعنى أفكر ساعتين ... » .

وضعت السماعة وشرعت أتأمل أظفارى .. ثم بدأت أطلب رقم د. ( رفعت ) .. وفى هذه المرة ردَ على الهاتف ، وعرفت أنه كان فى ( الإسكنرية ) ـ مرة أخرى

فى يوم واحد ؟! ــ فطلبت منه أن يأتى لمكتبى على الفور ...

ــ « ولماذا ؟ » .

ــ « ليس من أجل لعب الشطرنج طبعًا .. الأمر خطير ... » .

* * *

وحين وصل د. ( رفعت ) برائحة سجائره المقيتة ، جلسنا نحو ساعة أو أكثر نتبادل الخبرات ..

بدأت أجزاء الصورة تتجمع .. وكانت تمثل ( أخيروم ) أحمر العينين مكشرًا عن أنيابه مصممًا على القضاء على خصومه ..

فهم ( رفعت ) ذلك السرَ الذى حيره ليلة أمس فى دار السينما ..

لقد كان هناك شىء ما يراقبه ، وهذا الشىء لم يكن وهمًا ...

والذى أثار دهشتى من ( رفعت ) هو أنه لم يكن يؤمن بالأساطير ، بل هو يرى فى كل أسطورة أساسًا علميًا يفسر كل شىء .. فالقدماء كانوا يظنون البرق مخالب شيطان ثم اتضح أنه تفريغ شحنات كهربية ، القدماء تحدثوا عن مسوخ الذئاب غير عالمين أنه داء ( البروفيريا ) ..

لكن ( رفعت ) اعترف بصدق بعض الأساطير .. كوحش ( لوخ نس ) و ( العساس ) ولربما هذه الأسطورة التى نحن بصددها ...

وكان له مقياس لا يحيد عنه .. كل ما يتعارض مع الدين أولاً والعلم ثانيًا هو خرافة ..، ولما كان العلم جنينًا حديث الولادة فإن ما يتعارض مع العلم ويقره الدين ـ كالحسد والسحر الأسود مثلاً ـ هو احتمال موجود وسيجد له العلم مقياسًا يومًا ما حين تتطور أدواته أكثر ....

لهذا ـ ولأن الأمر فى حالتنا هذه يتعلق بالسحر الأسود ـ كان ( رفعت ) علىٍ استعداد لمناقشته وتجريبه والاقتناع به إذا لم يجد سبيلاً آخر لتفسيره ...

فى حين كانت أساطير مثل ( دراكيولا ) و ( الزومبى ) و ( ميدوسا ) لا تجد منه سوى الرفض لأنها تتعارض مع الدين بشكل صريح .

إن تفكيره ممنطق وأعتقد أننى كنت سأحب هذا الرجل لو كان أقل قبحًا وسخرية وإفراطًا فى التدخين ... ما علينا ...

مددت له يدى متسائلاً :

ـ (( هل الوريقة معك ...؟ )) .

ـ « أية وريقة ؟ » .

ـ « التى وضعت فيها البللورات .. الأثر الذى اقتفاه الحارس ... » .

ـ « بالطبع .. وضعتها فى علبة السجائر ... » .

ـ « وأين هى ؟ .. » .

بدت عليه علامات الحيرة ..

شرع يتحسس جيوبه .. ستكون كارثة لو كان قد رمى العلبة فى القمامة كما يحدث دائمًا .. أنا واثق أنه فعل ذلك ...

ثم إنه قطب جبينه ومسح العرق من على منظاره .

ـ « لحظة .. كانت معى أمس فى ( الكافيتريا ) .. و .... » .

ثم داعب شفته السفلى فى شرود :

ـ « نعم .. نعم .. تذكرت .. أخذتها ( هويدا ) محاولة منعى من التدخين .. » .

ـ « يا للهول ! » .

ونهض فى توتر ، وقد بدت عليه علامات الفهم ..

ـ « فهمت ! .. لهذا كانت مغامرتها الشنيعة مع ذلك الشبح الذى طاردها أمس .. لقد كانت البائسة تحمل حكم إعدامها فى حقيبة يدها ولا تعرف !! » .

أشرت إلى الهاتف وقلت بخطورة :
ـ (( اذن اطلبها فورًا ... )) .
. بالطبع لن أصف لكم محاولاتنا الخرقاء للاتصال بالإسكندرية ... عشرات المحاولات الفاشلة حتى سمعنا ذلك الرنين الطويل .. وسمعنا صوت سماعة تُرفع .. فصرخ ( رفعت ) فى هستيريا :
ـ (( ( هويدا ) .. هل علبة سجائرى بعد فى حقيبتك ... ؟ )) .
ردَت بصوت صارخ قائلة كلمات لم أفهمها ... من ثم صرخ :
ـ (( أرجوك أن تسمعينى .. تخلصى من العلبة فورًا .. ارميها من النافذة فلا وقت للشرح .. )) .
قالت شيئًا ما جعل وجهه يكفهر ..، وتساءل فى حيرة :
ـ (( مع من ؟! .. )) .
لم يتلق ردًا فعاد يكرر كالملسوع :
ـ (( مع من يا ( هويدا ) ؟.. مع من ...؟! )) .
اقتربتُ منه فى فضول متسائلاً :
ـ (( ماذا هنالك ؟ .. )) .
نظر لى بعينين زائغتين لا تريان .. وهمس :

ـ « إنه هناك .. فى غرفتها ! » .

وثبْتُ كالملسوع إلى السماعة والتقطتها ، وصرخت :

ـ « اسمعينى يا آنسة .. هه ؟.. أريد مدة أخرى بالطبع عليك اللعنة !.. كلا .. ليس هذا الكلام لك بل لعامل ( السنترال ) ..!.. اسمعينى .. أحضرى عسلاً .. وبعض البصل من المطبخ .. أنا لست مجنوناً .. أسرعى .. ! » .

يبدو أن صياحى أعاد لها انعكاساتها العصبية .. وسمعتها تجرى .. وسمعت صوتاً غريبًا كأنه قفل باب يتهشم .. ثم سمعتها تلتقط السماعة لاهثة وهى تردد :

ـ « أحضرته .. أحضرته ... » .

ـ « إذن .. اسكبى العسل حول حدود دائرة ، وقفى داخلها أنت ومن معك حاملين البصل فى أيديكم .. أسرعى !.. ورددى آية آيات قرآنية تحفظينها .. هيا !.. هيا !.. » .

سمعت صوت ضوضاء ..، وصوت رجل يتكلم ..، وخرفشة أوراق البصل .. فعدت أصرخ :

ـ « ضعى السماعة على أذنك .. جرّى الهاتف إلى قلب الدائرة لأعرف ما يحدث ..، هه ؟ .. نعم مدة أخرى أيها الأحمق !!.. »

كان هناك صوت خشب يتهشم .. العرق يتكاثف على جبينى ، و ( رفعت ) يرمقنى كطفل صغير ضل الطريق إلى داره ، صوت صراخ .. صوت كزئير الأسود .. صوت طلقات نارية ...

ثم ساد الصمت ...

بعد لحظات سمعت صوتًا رجوليًا يمسك بالسماعة ويقول لاهثًا :

ـ « انتهى الأمر .. لقد مضى .. » .

ـ « حمدًا لله ... »

ـ « ولكن من أنت ..؟ .. وما معنى كل هذا ؟... » .

ـ « إنها قصة طويلة وسيحكيها لكم ( رفعت ) بالتفصيل ... » .

وتناول ( رفعت ) السماعة .. وشرع يتساءل فى لهفة :

ـ « هل أنتم بخير جميعًا ؟. كيف حال ( هويدا ) ؟.. لقد كانت أمسية طويلة يا ( عادل ) .. طويلة حقًا ... » .

وحكى له كل شىء ......

* * *

# الخاتمة
## يحكيها د. (رفعت إسماعيل)

---

كانت تلك هى الطريقة الوحيدة التى تفتق عنها ذهن د. ( رمزى ) ..

ها نحن أولاء واقفون عند فوهة الفرن الكبير فى مصنع الحديد والصلب الذى قامت السلطات بإخلائه تمهيدًا لما نزمع القيام به ، وكان د. ( رمزى ) يحمل الوعاءين الكانوبيين الخاصين بالفرعون الذى أسميناه ( أخيروم الأول ) ، وكان ينتظر إشارة المهندس ...

ــ « الآن .. » .

قالها المهندس فى صرامة ...

عندئذ ألقى د. ( رمزى ) ما فى يده داخل فوهة الفرن .. إلى الحمم المنصهرة المشتعلة التى تتجاوز حرارتها ١٥٠٠ درجة مئوية ..

وتنحّى جانبًا ونحن معه ..

هل كان هذا صوت صراخ طويل شنيع قادم من الجحيم ؟ ..

هل كانت هذه الألسنة الملتوية تتخذ هيئة شبح يتعذب ؟ ..

هل كان هذا الضوء الأحمر هو ضوء النهاية ؟ ..
لا أدرى ...
لكننا ظللنا نرمق الحمم التى ذاب فيها كل أثر لهذا الكيان الشرير ..
الكيان الذى ظلّ يغفو فى أوعيته داخل أحشاء ( أخيروم ) منتظرًا كل من يدنس القبر وتعلق به البللورات كى يخرج ويطارده .. ويقتله شرّ قتلة بعد أن يترك وصمة الرعب أبدية على سحنته ..
إن الذى يكمن الشر فى أحشائه سينشر الرعب فى قلوب المتطفلين .. وقد كان ...
لكننا قد قضينا على أحشائه .. فهل مات الشر معها ؟..
إن د. ( رمزى ) لم يترك شيئًا للصدفة ..
لهذا ـ فى نفس اليوم ـ أعيدت المومياء إلى قبرها وتم إغلاقه بإحكام مع اتخاذ الضمانات الكاملة كى يظل عمال الحفر وكل من شارك فى هذه القصة صامتين ...
وحين ودعت د.( رمزى ) شعرت أننى أودع صديقًا ..
صحيح أننى لم أفده كثيرًا .. كالعادة فى كل مرة يحاول أحدهم أن يستعين بخبراتى فيها ...
لكننى ـ على الأقل ـ لم أترك فى ذهنه صورة المدعى أو الجبان ...

* * *

في المستشفى كانت ( هويدا ) لم تزل تحت العلاج المكثف من أستاذ الأمراض النفسية ( عصام شلبى ) .. وكانت تتحسن ...

أما أمها فقد شفيت من الصدمة سريعًا ..

تجرأت مرة وسألت ( عادل ) ـ صديقى القديم ـ عن الشيء الذى رأوه فى تلك الليلة ، فقال فى مرارة :

ـ « لا تحدثنى عن ذلك ثانية .. دعنا ننسه ... » .

ـ « هل كان مريعًا إلى هذا الحدّ .. ؟ » .

ـ « لن تتخيله ما حييت ... » .

وهنا جاء الطبيب وقال وهو يصطحبنى إلى غرفتها :

ـ « يمكنك الآن أن تحدثها ولكن برفق .. إن ما رأته لن يُمحى من ذهنها ، لكنها تسدل فوقه ستارًا مزيفًا ..» .

ـ « كانت شجاعة .. وأحضرت ما طلبه د. ( رمزى ) منها .. » .

ـ « كان العبء ثقيلاً على محركات روحها .. لهذا احترقت ! » .

وفى الغرفة كانت راقدة بين باقات الزهور التى أرسلها لها كل يوم ، وكانت تصغى لموسيقا هادئة فى المذياع وتقرأ قصة أطفال لأن أعصابها لم تعد تتحمل أى شيء جدىّ أو صارم ...

جلست جوار الفراش حائرًا لا أدرى ما أقول ...

ـ « شكرًا على الزهور ... » .

قالتها فى رقة .. ، وابتسمتْ ...

مددت يدى لأشعل لفافة تبغ .. لكنها انتزعتها فى مشاكسة ـ « لولا التدخين ما حدث لى كل هذا ... ! » .

ـ « ولولا محاولتك منعى عنه ما حدث لك كل هذا .. ! » .

ـ « لا أريد زوجًا يدخن ... » .

قلت فى مرارة وأنا أنظر للسقف :

ـ « ( هويدا ) .. هل أنت واثقة أنك راغبة فى الزواج منى ؟.. لقد رأيت جزءًا صغيرًا جدًّا من حياتى .. هذه هى وتيرة حياتى منذ عام ١٩٥٩ حتى اليوم .. فهل تتحملين ؟! » .

انحنى عنقها حتى لا أرى وجهها وصمتت برهة ..

ثم حين رفعت وجهها فهمت الحقيقة ...

كانت تبكى .. !

تبكى بتلك الطريقة المفاجئة الغادرة التى تفاجئنا بها النساء حين لا نتوقع أن هناك ما يدعو للدموع فى كلامنا ..

وفطنت لحقيقة أخرى ..

أننى أحب .. للمرة الأولى أحب هذه الطفلة البريئة البائسة التى أحببت كثيرًا ، ومنحت كل عذوبة روحها لى.. لكنى لم أفهم .. لأن المذءوبين ومصاصى الدماء قد احتلوا كل دهاليز روحى فلم يعد ثمة مكان لـ ( هويدا ) ..

ـ « ( هويدا ) .. هل تقبلين ؟ ! » .

هل الصمت علامة الرضا أم علامة الرفض ؟ ..

لا أذكر بالضبط .. لكنى سأظل معها ... مهما حدث ...

* * *

كان ميعاد زفافنا فى ( مايو ) من نفس العام ...

لكن شيئًا ما حدث .. شيئًا لم أتوقعه ، ولم أدرك قط أية لحظات قاتلة سيحملها لى ...

لكن هذه قصة أخرى ...

القاهرة ـ ١٩٩٢      د. رفعت إسماعيل

* * *

القصة القادمة

أسطورة الكاهن الأخير



إدارة العمليات الخاصة

# المكتب رقم (١٩)

## صدر من هذه السلسلة :

# ملف المستقبل

## سري جدا !!

صدر من هذه السلسلة :

# رجل المستحيل

## صدر من هذه السلسلة :

١ - الاختفاء الغامض .
٢ - سباق الموت .
٣ - قناع الخطر .
٤ - صائد الجواسيس .
٥ - الجليد الدامى .
٦ - قتال الذئاب .
٧ - بريق الماس .
٨ - غريم الشيطان .
٩ - أنياب الثعبان .
١٠ - المال الملعون .
١١ - المؤامرة الخفية .
١٢ - حلفاء الشر .
١٣ - أرض الأهوال .
١٤ - عملية مونت كارلو .
١٥ - إمبراطورية السم .
١٦ - الخدعة الأخيرة .
١٧ - انتقام العقرب .
١٨ - قاهر العمالقة جـ١ .
١٩ - أبواب الجحيم جـ٢ .
٢٠ - ثعلب الثلوج .
٢١ - مضيق النيران .
٢٢ - أصابع الدمار .
٢٣ - فارس اللؤلؤ .
٢٤ - الضباب القاتل .
٢٥ - الخنجر الفضى .
٢٦ - آخر الجبابرة .
٢٧ - الجوهرة السوداء .
٢٨ - قلب العاصفة .
٢٩ - الصراع الشيطانى .
٣٠ - الرمال المحرقة .
٣١ - الخطوة الأولى .
٣٢ - خيط اللهب .
٣٣ - القوة ( أ ) .
٣٤ - مارد الغضب .
٣٥ - قراصنة الجو .
٣٦ - ذئب الأحراش .
٣٧ - مخلب الشيطان .
٣٨ - لعبة المحترفين .
٣٩ - أعماق الخطر .
٤٠ - مهنتى القتل .
٤١ - الانتحاريون .
٤٢ - الهدف القاتل .
٤٣ - المخاطر .
٤٤ - العين الثالثة .
٤٥ - القضبان الجليدية .
٤٦ - لهيب الثلج .
٤٧ - الرصاصة الذهبية .
٤٨ - شيطان المافيا .
٤٩ - الضربة القاضية .
٥٠ - مهمة خاصة .
٥١ - سم الكوبرا .
٥٢ - جبال الموت .
٥٣ - ذئاب ودماء .
٥٤ - رحلة الهلاك .
٥٥ - أفعى برشلونة .
٥٦ - عملية الأدغال .
٥٧ - الفهد الأبيض .
٥٨ - إعدام بطل .
٥٩ - إنتقام شبح .
٦٠ - دونا كارولينا .
٦١ - ملائكة الجحيم .
٦٢ - ملك العصابات .
٦٣ - الجاسوس .
٦٤ - تحت الصفر .
٦٥ - الجليد المشتعل .
٦٦ - ألف وجه .
٦٧ - الجحيم المزدوج .
٦٨ - قلعة الصقور .
٦٩ - أجنحة الانتقام .
٧٠ - أباطرة الشر .
٧١ - ضد القانون .
٧٢ - شريعة الغاب .
٧٣ - المعتقل الرهيب .
٧٤ - الدائرة الجهنمية .
٧٥ - أسوار الجحيم .
٧٦ - النهر الأسود .
٧٧ - عمالقة مارسيليا .
٧٨ - صحراء الدم جـ١ .
٧٩ - صفقة الموت جـ٢ .
٨٠ - وكر الإرهاب جـ٣ .
٨١ - الرجل الآخر جـ١ .
٨٢ - الأخطبوط جـ٢ .
٨٣ - معركة القمة .
٨٤ - جزيرة الجحيم .
٨٥ - لمسة الشر .
٨٦ - الثعلب .
٨٧ - خط المواجهة .
٨٨ - سفير الخطر .
٨٩ - قضية السفاح .
٩٠ - الهدف .
٩١ - الوجه الخفى .
٩٢ - الخطر .
٩٣ - أرض العدو .
٩٤ - كتيبة الدمار .
٩٥ - الصراع الوحشى .
٩٦ - المعركة الفاصلة .
٩٧ - الصقر الأعمى .
٩٨ - القناص .
٩٩ - مذاق الدم .
١٠٠ - الضربة القاصمة

رقم الإيداع : ٩٣/١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤